

إعداد الدكتورة

عزيــزة على الأشـــول

الأستاذ المشارك بقســم الدراســات الإسلاميــة

الكلية الجامعية بالقنفذة، المملكة العربية السعودية


بسم الله الرحمن الرحيم

تطور الفكر الإلحادي (دراسة تحليلية)

عزيزة على الأشول

قسم الدراسات الاسلامية، الكلية الجامعية بالقنفذ، المملكة العربية السعودية.

الإيميل الجامعي: aaaamri@uqu. edu. sa

الملخص:

يسـعي الملاحدة لاكتسـاب المشـروعية من خلال الزعم بأن الإلحاد ظاهرة عالمية قديمة قدم التاريخ؛ فالإلحاد بزعمهم كان خياراً وجوديًا كالدين تمامًا بتمام، فظهرت بوادره في الأديان الشرقية القديمة كالبوذية مثلاً وغيرها من الأديان والفلسفات الشرقية القديمة، ثم ازدهر في بلاد اليونان، ولازم حركة تطور البحث الفلسفي في اليونان القديمة، وانتقلت هذه الأفكار الإلحادية إلى البيئة العربية القديمة، وبالطبع ترسـخت تلك المفاهيم في بيئات إسـلامية عديدة وظهرت مجموعات من المفكرين اتهموا بالإلحاد، حتي تجذر الإلحاد في البيئة الغربية إبان ع صر النهضة، ثم اختتمت أطوار الإلحاد بظهور الإلحاد الجديد.

تلك هي الرؤية الملحدة لتطور الحركة الإلحادية عبر التاريخ، ولكن هذه الرؤية مضللة في كثير من أجزائها، ومن خلال البحث توصلت إلى أن الإلحاد بمعناه المعاصر – إنكار الوجود الإلهي – هو منتج غربي أصيل لم يظهر بتلك الـ صورة الفجة عند الأمم القديمة، واستعمال م صطلح الإلحاد عندهم اكتسـب دلالات محددة؛ منها: التـ صور الخاطئ لعلاقة الله بالكون والناس، وإنكار القيومية الإلهية على الكون، أو تـ صور خاطئ للنبوة، أو إنكار بعض العقائد الدينية مثل البعث وغيره من العقائد، ولذلك فالزعم بأن الإلحاد قديم زعم باطل يعوزه الدليل السـالم عن المعارض.

الكلمات المفتاحية: الإلحاد، العقيدة، المفكرين، الإلحاد الجديد، الإنكار، الدين.

The Development of Aetheistic Thinking
An Analytical Study

By: Aziza Ali Al- Ashewal
Department of Islamic Studies
Al- Qunfundhah University College
Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

Some Atheists seek legitimacy through claiming that atheism is an old and historical international phenomenon. Atheism، as they think، was an existential matter exactly like religion. The first signs of atheism appeared in the old oriental religions such as Buddhism.. etc، as well as oriental philosophies، then it flourished in Greece. In addition، atheism had been concomitant with philosophical research in old Greece. Such atheistic ideas had moved into the old Arabic environment and they certainly established those concepts in many Islamic environments where groups of thinkers ،who were accused of atheism، appeared. Hence، atheism rooted itself in the western environment in the wake of the age of renaissance. Finally، a new wave of atheism has appeared. Accordingly، this is the vision concerning the development of atheism across history but one would find that this vision is misleading in a geat deal of its parts. Throughout the research، the resarcher has found out that atheism in its modern implication- denounces the existence of God- is a pure western product that has never appeared in such a form for the old nations. Moreover، the concept of atheism has acquired certain significances such as the fallacious delineation of the relationship between Allah، the comos and people as well as denouncing divine eternity controlling the universe. It also signifies the incorrect delineation of prophethood and refused some dogmatic beliefs such as resurrection.. etc. Therefore، assuming that atheism is old، would be taken as fallacious since it lacks undisputed، sound evidence.

Keywords: atheism، creed، thinkers، new atheism، denial، religion.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم وبعد،

فلكل أمة اصطلاحاتها ومضامينها الخاصة لهذه المصطلحات، ولا يمكن تعميم محتوي مصطلح ما في حضارة معينة على نفس المصطلح في حضارة أخري، ذلك أن لكل حضارة استعمالات متعددة لنفس المصطلح يختلف عن استعمال الحضارات الأخرى له، ويمكن تسمية هذه الظاهرة – إن جاز لنا التسمية – بظاهرة الخصوصية الدلالية للمصطلحات.

وينشأ الوهم والخلط من عدم إدراك الفروق الدلالية للمصطلحات عبر الحضارات، وقد تتشابه الدلالات ولكنها لا تتطابق – غالبًا –، ومن هذه المصطلحات التي تعدد معناها ومدلولها بين الحضارات: مصطلح (الإلحاد)، فقد استعمل في الحضارات القديمة بمعني الخارج عن مألوف الجماعة من عادات وتقاليد وأديان، بينما استعمل في العصور اللاحقة بمعني الخروج عن سلطان رجال الدين (خاصة في العصور المسيحية الوسيطة)، وقد استعمل في الحضارة الإسلامية بمعني المعترض على خصائص النبوة ومعجزات الرسل، ونادراً ما استُخدم في الدلالة على من ينكر وجود الله؛ فقد أطلق على هذا الصنف من المعاندين اسم (الدهرية)، واستعمل في الحضارة المعاصرة بمعني المنكر لوجود الله – تعالي–، كما سيأتي بيان ذلك كله في موضعه من البحث إن شاء الله.

هذا التعدد في الدلالة واستعمال نفس المصطلح جعل من التعميم والاختزال جريمة في حق الفكر والحقيقة، فيرمى بريء من إنكار الوجود الإلهي بهذه التهمة الشنيعة، بل يؤرخ للبشرية تأريخًا يناقض طبيعة الأشياء وقوانين الفكر؛ فيقرر أصحاب الاتجاه الإلحادي أن الإلحاد صاحبَ الدين، ومثّل اختياراً مماثلاً للدين ويعتقد الملاحدة بسبب هذا الخلط المصطلحي أن: "عدم الاعتقاد في وجود إله أو آلهة هو ظاهرة عالمية الانتشار، ذات تاريخ طويل ومميز"(١).

(1)Atheism ،A philosophical Justification: Michael Martin ،temple university press ،Philadelphi. usa وراجع الترجمة العربية للؤي عشري تحت عنوان (الإلحاد تعليل فلسفي) نسخة الكترونية، ص١٦.

هذه الأرضية الصلبة والمشروعية التي استند إليها الخطاب الإلحادي المعاصر مشروعية زائفة، ذلك أن اختلاف المدلول والاستعمال لمصطلح (الإلحاد) بين الحضارات، يجعل التأريخ للإلحاد قبل العصور الحديثة مليء بالتناقض والخطأ والخلط بين إنكار وجود الإله، وبين الاعتراض على الأديان الزائفة، أو الانحراف في التصور الديني لقضية ما كما سيظهر ذلك من خلال البحث إن شاء الله.

كل هذه العوامل جعلت من تتبع مراحل تطور استعمال مصطلح (الإلحاد) ضرورة ملحة، وكذلك تتبع فكرة إنكار وجود الإله، وتطور وسائل وأساليب وطرق التعبير عنها بين الحضارات أمراً في غاية الأهمية، لنقض التصور الإلحادي القائم على استمداد المشروعية بضرب جذوره في قديم الزمان، ظانين – أي الملاحدة – أن قدم الانحراف وكثرة من دان به دليل على المشروعية، أو ينقله من دائرة الخطأ إلى دائرة الصواب.

وقد قامت فكرة البحث على ما يلي:

١ – التعريف الدقيق بالمصطلحات.

٢ – تتبع ظاهرة التمرد على الأديان سواءً أكانت (إنكاراً لوجود الإله – أم إنكارا للنبوة، أو إنكاراً لبعث الأجساد بعد موتها).

٣– إبراز اختلاف الاستعمال للمصطلح الواحد بين الحضارات المختلفة.

٤ – إبراز أوجه الصورة الحالية للإلحاد وأهم مقوماته وما يميزه عن صور الإلحاد القديمة.

ويعلم الله أنني لا أتغيا إلا رضا الله، والعمل على رد التحدي الإلحادي، وقمع مظاهر الإلحاد (الجديد)، ونقض تصوراته عن قدم ظاهرة الإلحاد، وحرمانه من اكتساب مشروعية وهمية، يدلس بها على العامة والخاصة ممن لا يعي اختلاف دلالة المصطلح بين الحضارات، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل،،،

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يوسف: ١٠٣).

ا

التمهيد

ويشتمل على التعريف بمفردات العنوان كما يلي:

تعريف التطور:

جاء في (لســان العرب): "الطور: التارة، تقول طوراً بعد طور: أي تارة بعد تارة، وجمع الطور أطوار، قال – تعالي– "وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا" (سورة نوح: ١٤)، أي ضروبًا وأحوالاً مختلفة، والطور ما كان على حذو الشيء أو بحذائه"(١).

وفي المعجم الوسـيط: "طوره: حوله من طور إلى طور، وهو مشـتق من الطور، وتطور: تحول من طور إلى طور"(٢).

فالمعني اللغوي لكلمة تطور: يدور حول نقل الشيء من مرحلة إلى مرحلة أخري، مع إضافة أو تحســين، أو حتى مع مطلق التغيير، ولعلنا لا نخطئ إذا اجتهدنا في بيان معني التطوير في الفكر، فهو يشمل التحسين والتجويد، أو مزيد من تخصيص تمييزه عما سبقه من فكر.

ومما يدل على ذلك ما جاء في المعجم الفلسـفي: أن للتطور في الفلسـفة الحديثة عدة معان: (التبدل التدريجي البطيء بتأثير الظروف الخارجية – التبدل الموجه إلى غاية ثابتة على مراحل متعاقبة يمكن تجديدها مسـبقًا – الانتقال من البسـيط إلى المركب ومن المتجانس إلى غير المتجانس أو من الأكثر تجانسًا إلى الأقل تجانسًا)(٣)

والمعني الاصطلاحي لا يخرج عن هذا الإطار السابق فيمكن تعريفه بأنه: "تجدد وتغير الشيء، وعدم بقائه على صورته"(٤).

---

(١) – لسان العرب: ابن منظور، ط دار صادر (بيروت) بدون تاريخ، ج٤ ص ٥٠٧.

(٢) – المعجم الوسـيط: مجمع اللغة العربية (مصـر)، ط دار الشـروق الدولية (القاهرة) ط رابعة ٢٠٠٤م، ج٢ (مادة طور) ص ٥٧٥.

(٣) – المعجم الفلسفي: جميل صليبا، ط دار الكتاب اللبناني (بيروت) ١٩٨٢م، ج١ ص ٢٩٣– ٢٩٤.

(٤) – الوسـائل الدعوية بين الثبات والتطور: سـالم محمد أبو الفتح البيانوني، ط. دار اقرأ للنشـر والتوزيع (الكويت) ٢٠٠٦م، ص ١٨.

تعريف الفكر:

جاء في معجم مقاييس اللغة: الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء، يقال تفكر، إذا ردد قلبه معتبراً، ورجل فكِّير كثير الفكر"[١]، يعني إعمال الذهن في الشيء وتقليب النظر فيه.

والفكر اصطلاحـًا: لا يبتعد عن المفهوم اللغوي كثيراً، إذ يعرف الفكر اصطلاحـًا بأنه: "إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة"[٢].

وكذلك عرف بأنه: "ما يتم التفكير به من أفعال ذهنية من أجل ترتيب أمور معلومة للوصول إلى مجهول"[٣].

تعريف الإلحاد: وسنتوسع في تعريف مصطلح (الإلحاد) لأنه المقصود، ونتناول تعريف هذا المصطلح من خلال عدة مناظير:

أ- المنظور اللغوي:

وتكمن أهمية هذا المنظور في أنه يبين حدود المصطلح وما يحتمله من معان من خلال اللغة، التي تمثل وعاء الأفكار؛ ومن هنا كان لابد من التعريف اللغوي في أي معالجة فكرية لكافة الظواهر، ويمكننا تتبع ما تحمله كلمة (الإلحاد) من معان من خلال استقراء معاجم اللغة العربية:

١- يقول ابن منظور: "الإلحاد: هو الميل عن القصد، ولحد على في شهادته يلحد لحداً: أثم، ولحد إليه بلسانه: مال، وأصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء"[٤].

٢- يقول ابن فارس: "اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة. يقال: ألحد الرجل، إذ مال عن طريقة الحق والإيمان. وسمي اللحد لأنه مائل في أحد جانبي الجدث. يقال: لحدت الميت وألحدت. والملتحد: الملجأ، سمي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه"[٥].

---

(١) - معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ٤ ص ٤٤٦.

(٢) - إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، ط دار الندوة الجديدة (بيروت) ج ٤ ٤٢٥.

(٣) - التعريفات: الجرجاني، ط دار إحياء التراث العربي (بيروت) أولي ٢٠٠٣م، ص ١٣٨.

(٤) - لسان العرب: ابن منظور، مرجع سابق، مادة (لحد) ج١٣ ص ١٧٧.

(٥) معجم مقاييس اللغة: مرجع سابق، (٥/ ٢٣٦).

٣- ويقول ابن الأثير: "وأصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء"[١].

ويمكننا بلورة معني لغوي جامع من خلال ما سبق؛ فالإلحاد في اللغة معناه (الميل عن المألوف المعتاد).

ب- المنظور الشرعي:

ويكون بتتبع مفردة (إلحاد) وتصريفاتها في القرآن والسنة، وما يستتبع ذلك من النظر في كتب التفسير وشروح السنة، وذلك كما يلي:

١- **المعصية**: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥]، قال ابن الجوزي: "وفي المراد بهذا الإلحاد خمسة أقوال: أحدها: أنه الظلم، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: هو عمل سيئة، فعلى هذا تدخل فيه جميع المعاصي، وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا تحتكروا الطعام بمكة، فإن احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم. والثاني: أنه الشرك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وبه قال الحسن، وقتادة. والثالث: الشرك والقتل، قاله عطاء. والرابع: أنه استحلال محظورات الإحرام، وهذا المعنى محكيٌّ عن عطاء أيضاً. والخامس: استحلال الحرام تعمُّداً، قاله ابن جريج"[٢]، وهذه الأقوال ترجع إلى معنى المعصية على اختلاف في درجتها ومرتبتها.

٢- **الملجأ**: وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴿٢٢﴾﴾[الجن: ٢٢] (ولن تجد من دونه ملتحدا)، أي: ملجأ وموئل[٣].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوى - محمود الطناحي، المكتبة العلمية (بيروت) ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٤/ ٢٣٦)، وينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: عياض بن موسى اليحصبي السبتي (١/ ٣٥٥)، لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقى (٣/ ٣٨٨).

(٢) زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط دار الكتاب العربي - (بيروت) أولى - ١٤٢٢هـ. (٣/ ٢٣١).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط مؤسسة الرسالة، أولى، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م. (١٧/ ٦٥١)

٣- **الشق في القبر**: كما في الحديث: (ألحدوا لي لحدا)[١].

٤ - **الميل عن الحق الواجب اعتقاده**: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

قال ابن قتيبة: "يجورون عن الحق ويعدلون"[٢].

٥- **الميل عن الاستقامة**: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]

- قال الزمخشري: "المعنى: لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أَعْجَمِيٌّ غير بين وَهذا القرآن لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ذو بيان وفصاحة ردّا لقولهم وإبطالا لطعنهم"[٣].

٦- **التكذيب والإعراض**: قال - تعالي-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ [فصلت: ٤٠] قال ابن عطية: "واختلف المفسرون في الإلحاد الذي أشير إليه ما هو؟ فقال قتادة وغيره: الإلحاد بالتكذيب، وقال مجاهد وغيره: الإلحاد بالمكاء والصفير واللغو الذي ذهبوا إليه، وقال ابن عباس: إلحادهم هو أن يوضع الكلام غير موضعه، ولفظة الإلحاد تعم هذا كله"[٤].

مما سبق يمكن لنا التأكيد على أن معنى الإلحاد الوارد في النصوص هو معنى واسع، حتى فيما يتعلق بالعقيدة؛ نجد أن مفهوم الإلحاد يشمل العديد من المعاني التي يجمعها الخروج عن الحق والميل عما يجب من الاعتقاد فيه.

---

(١) - صحيح مسلم: حديث رقم ٩٦٦ وراجع شرح النووي على مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار الكتب العلمية (بيروت)، كتاب الجنائز - باب اللحد ونصب اللبن على الميت، ج٧ ص ٢٨ - ٢٩

(٢) زاد المسير في علم التفسير: مرجع سابق، (٢/ ١٧٢).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو الزمخشري جار الله، ط دار الكتاب العربي (بيروت) ط. ثالثة ١٤٠٧هـ. (٢/ ٦٣٥).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط دار الكتب العلمية - (بيروت) أولى - ١٤٢٢هـ. (٥/ ١٨).

ج – منظور التراث الإسلامي:

ويكون بتتبع أقوال أعلام التراث الإسلامي حول دلالة مصطلح (الإلحاد)؛ ونبادر إلى القول بأننا نجد أن إطلاق (الملاحدة) عند علماء الإسلام لا يختص بمن ينكر وجود الله تعالى، وإنما يشمل كل من سلك طريقا مال به عن الحق الواجب في الاعتقاد:

- يقول الرازي: "فالملحد هو المنحرف، ثم بحكم العرف اختص بالمنحرف عن الحق إلى الباطل"(١).

- ويقول الزمخشري: "ألحد فلان في قوله، وألحد في دينه. ومنه الملحد، لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها، لم يمله عن دين إلى دين"(٢).

- ويقول ابن حجر: "وقيل للمائل عن الدين ملحد"(٣).

* وقد جاء هذا في استعمال العلماء لوصف الإلحاد، حيث يطلقونه على أصناف مختلفة من أصحاب البدع والأهواء، فعلى سبيل المثال:

- قال الأشعري: "ويقال لهم: إذا كان القاتل عندكم قادرا على ألا يقتل هذا المقتول فيعيش، فهو قادر على قطع أجله وتقديمه قبل أجله، وهو قادر على تأخيره إلى أجله، فالإنسان على قولكم يقدر أن يقدم آجال العباد ويؤخرها، ويقدر أن يبقي العباد ويبلغهم ويخرج أرواحهم، وهذا إلحاد في الدين"(٤).

- ويقول الآجري: "فإن قال منهم قائل: إن الله تعالى خلق كلاما في الشجرة فكلم به موسى، قيل له: هذا هو الكفر، لأنه يزعم أن الكلام مخلوق، تعالى الله عز وجل عن ذلك، ويزعم أن مخلوقا يدعي

---

(١) التفسير الكبير: محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ثالثة – ١٤٢٠هـ (٢٧/ ٥٦٨).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: مرجع سابق، (٢/ ٦٣٥)

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: مرجع سابق، (٣/ ٢١٣)

(٤) الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، ط دار الأنصار – القاهرة، أولى ١٣٩٧هـ، (ص٢٠٤-٢٠٥)

الربوبية، وهذا من أقبح القول وأسمجه، وقيل له: يا ملحد، هل يجوز لغير الله أن يقول: إنني أنا الله؟"(١).

- ويقول ابن حزم: "فمن قال على الله ما لم يقله فهو ملحد كاذب على الله عز وجل"(٢).

- ويقول التهانوي: "وقال النسفي في عقائده: النصوص محمولة على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد". وقال التفتازاني في شرحه: "سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أنّ النصوص ليست على ظواهرها، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية"(٣).

- وقد ألَّف الشيخ محمد أنور الكشميري رسالة بعنوان: (إكفار الملحدين في ضروريات الدين)، وأراد بها الرد على الحركة القاديانية، ووصفهم بالإلحاد مع أنهم لا ينكرون وجود الله تعالى، ودعواهم كانت نبوة أحمد غلام القادياني.

ومن خلال هذه الأمثلة – وغيرها أكثر – يلاحظ أن إطلاق وصف الملاحدة لم يكن في الغالب يطلق على من ينكر وجود الله تعالى، خاصة وأن مثل هذه الدعاوى كانت نادرة في التاريخ الإسلامي، بل كان وصف الإلحاد يطلق في الغالب على منكري النبوة أو المخالفين في أصول الاعتقاد والشريعة(٤).

د- منظور الفكر الغربي:

والحال في أوروبا ربما لا يختلف كثيرا من جهة نشأة واستعمال لفظ الإلحاد، يقول رمسيس

---

(١) الشريعة: محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ، تحقيق الدكتور/ عبد الله الدميجي، ط دار الوطن (الرياض)، ثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٣/ ١١٠٩).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، ط مكتبة الخانجي (القاهرة)، (٣/ ١٠٤).

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن على التهانوي، تحقيق: د. على دحروج، الترجمة الأجنبية: د.جورج زيناني، ط مكتبة لبنان ناشرون (بيروت) أولى - ١٩٩٦م، (١/ ٣٤)

(٤) انظر: كتاب من تاريخ الإلحاد في الإسلام: عبدالرحمن بدوي، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت) ثانية ١٩٨٠م، (ص٥).

عوض: "ويبدو أن كلمة الإلحاد لم تستحدث في أوروبا إلا في القرن السادس عشر، ولكن هذا لا يعني بطبيعة الحال عدم وجود ملحدين قبل هذا التاريخ... وقد استحدثت أوروبا في عصر الإصلاح مجموعة من الألفاظ التي تعبر عن الشك في الدين ووجود الله، مثل: الإلحاد والمذهب التأليهي، ورغم وجود كلمات أخرى تشير إلى الإلحاد مثل: الأبيقورية واللوسيانية والمذهب الليبرتاني فقد توقف هذا العصر عن استخدامها، وفي نهاية القرن السابع عشر بدأت أوروبا تستخدم مجموعة أخرى من الألفاظ البديلة من الإلحاد مثل: المادية، والفكر الحر، والإيمان بوحدانية الوجود. ثم جاء القرن التاسع عشر ليشهد استخدام كلمتين أخريين هما: اللا أدرية والفاديزم، ولكن الجدير بالذكر أن هذه الألفاظ لم تكن تستخدم بالمعنى نفسه الذي تستخدم به الآن"(١).

وصار بعد ذلك المعنى الشائع للإلحاد هو إنكار وجود الإله، وانتقل هذا التوصيف الغربي للإلحاد إلى الكتابات الإسلامية، فأصبح لا يطلق في الغالب إلا على إنكار الإله، أو إنكار الأديان، ومن تعريفات الإلحاد بهذا المعنى:

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق: "الكفر بالله، والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار، وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط"(٢).

ويقول الأستاذ أنور الجندي في تعريفه: "نفي وجود الخالق المبدع للكائنات""(٣)، وأشار إلى أن هذا هو المفهوم الغربي للإلحاد.

فهذا النوع من الإلحاد لم يكن معروفا في الجاهليات السابقة، بل هو (بدعة جديدة في الضلالة)، وسيأتي الكلام عن هذا الموضوع.

---

(١) الإلحاد في الغرب: رمسيس عوض، ط مينا للنشر (القاهرة)، الانتشار العربي-(بيروت) أولى ١٩٩٧م، (ص١٧).

(٢) الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها: عبدالرحمن عبدالخالق، ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية)، ثانية، ١٤٠٤هـ، (ص٦).

(٣) الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي: أنور الجندي، موسوعة شاملة لشبهات الأدب والثقافة والتاريخ والسياسة والاجتماع وتراجم الأعلام والمؤلفات، ط دار الاعتصام (القاهرة)، (ص٢١٢).

ومع ذلك يظل مصطلح الإلحاد مصطلحا واسع المعنى، وفي هذا يقول جيمس كولينز: "وجهة النظر هذه – يعني الإلحاد – من أكثر وجهات النظر إفلاتا من التعريف، لأن لها في العادة دلالة نسبية، وربما كان أوسع معنى يعزى إلى الإلحاد هو: أنه إنكار للتصور السائد عن الله أو عن الإلهي. ولكن لما كان هذا التصور يمكن أن ينتقل من عصر إلى آخر لم يكن من المستبعد أن تكون ثمة نقلة مناظرة في معنى الإلحاد"(١).

ويقول جميل صـــليبا: "فليس لهذا اللفظ إذن في التاريخ معنى محدود ثابت لاختلاف مفهومه باختلاف الزمان والمكان"(٢).

ومن خلال ما ســـبق يمكننا الخلوص إلى أنه ليس هناك للإلحاد معنى محدد متفق عليه، بل يختلف باختلاف الأزمنة، ونوع المخالفة، وثقافة الناس، وإن كان في مجمله يدور حول مخالفة الدين في أصوله ومحاولة التغيير فيه أو التخلص منه، أو إنكار النبوة من أساسها، وأشد درجاته إنكار وجود الإله.

ومن المفيد التعرف على الفرق بين مـ صطلح (الإلحاد) ومـ صطلح (الكفر)؛ فمصـــطلح الكفر يحمل في طياته الإيمان بشـــيء (غالبـًا ما يكون فيه اعتراف بالألوهية حقة كانت أم باطلة)، بخلاف لفظ الإلحاد الذي يحمل في طياته إنكار الألوهية عمومـًا(٣).

ونعني بتطور الفكر الإلحادي: انتقاله من مرحلة إلى مرحلة أخري؛ في الاســتدلال وطرق الدعاية، بل والقضايا والمناهج أيضـًا.

---

(١) الله في الفلســـفة الحديثة: جيمس كولينز، ترجمة: فؤاد كامل، ط دار قباء للطباعة والنشـــر(القاهرة) ١٩٩٨م، (ص٣٣٦).

(٢) المعجم الفلسفي،: مرجع سابق، (ص١٢٠)

(٣) انظر: مصر وإعادة البناء الحضاري: مصطفي النشار، ط. دار روابط للنشر وتقنية المعلومات (القاهرة)، ص ١٢٩.

المبحث الأول

الإلحاد القديم قبل الإسلام

من الملاحظ أنّ الدراسات المتعلقة بنشأة الأديان كثيرة ومتنوعة، وتناولت العديد من الجواب بالبحث والتفصيل، إلا أن مثل هذه الدراسات لا يكاد توجد فيما يتعلق بالإلحاد، حيث إن الأبحاث المتعلقة بنشأة الإلحاد وتاريخه قليلة ومحدودة جدا، وكأن الإلحاد ليس جديراً بالدراسة!، حتى إن أستاذ علم النفس الأميركي "بول فيتز" عندما أصدر كتابه (سيكولوجيا الإلحاد)؛ أثار ذلك عددا كبيرا من علماء النفس واعتبروا الكتاب غير مقبول ومزعج، إذ إن المعتاد في الوسط الأكاديمي هو دراسة علم نفس الإيمان وليس علم نفس الإلحاد[١].

وبسبب قلة الدراسات في هذا الجانب فإنه من الصعب تحديد بداية واضحة لنشأة الإلحاد، ولكن من الممكن تتبع ظاهرة إنكار الألوهية أو الاعتراض عليها فيما يلي من مطالب:

المطلب الأول: إنكار الألوهية في الأديان الشرقية القديمة.

في الحقيقة وجدت غضاضة في صياغة عنوان هذا المطلب، ذلك أنه مخالف لاعتقادي وما أدين به لله – عز وجل –، فكل مسلم يعتقد بأصالة الوجود الإلهي، وأن وجود الكون كله تابع ويستمد إمداده بالوجود من الله – تعالي –، ولكنني مضطرة لمتابعة من يدعي أن إنكار الألوهية ضارب في التاريخ، حتى نكر على حجته ونفندها.

ونبادر إلى القول بأن الشعور بالمتسامي (الإله – القوة العليا)، شعور أصيل في النفس البشرية لم يخل منه إنسان ما على طول التاريخ، "شعر الناس بتوق إلى المطلق، وأحسوا بحضوره في كل مكان حولهم، وبذلوا جهدهم لتنمية حسهم بهذا التسامي.. "[٢]

(١) الإلحاد مشكلة نفسية: عمرو شريف، راجعه وقدم له: أحمد عكاشة، ط دار نيو بوك للنشر والتوزيع(القاهرة) أولى ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، (ص١١٤).

(٢) – مسعي البشرية الأزلي إلى الله – الله لماذا؟: كارين أرمسترونج، ترجمة فاطمة نصر – هبة محمود عارف، ط دار سطور (القاهرة) أولي ٢٠١٠م، ص ٤١.

فمهما كانت سذاجة المعتقد (الفكر الديني) فهو يسلم بوجود قوة عليا متحكمة ومسيطرة على الكون وما فيه، "وفي هذا الإطار نجد المدى الفسيح الذي يتسع للعديد من التصورات والاعتقادات التي تضم أدنى صور السذاجة المتمثلة في القبيلة أو في المجتمع أو في الطبيعة، إلى جانب أسمي التصورات المتمثلة في الاعتقاد في قوة القوي ومسبب الأسباب؛ الذي بيده مقاليد كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله بدءًا ونهاية، أصلاً ومصيراً"[١].

فكل الأمم الشرقية القديمة كانت مؤلِّهة – تعتقد بوجود إله – أيًا كانت طبيعته، ولكن في الأخير كلهم يعتقد بوجود إله[٢].

ومع وضوح هذه القضية إلا أن كثيراً من الباحثين وجدوا في غياب البحث في الألوهية في (البوذية) تكأة للقول بأن هذا الدين ملحد وكانت حجتهم أن البوذية ليس لها معتقد واضح حول وجود الإله. وقد ظهرت البوذية حوالي (٥٠٠ ق. م) حيث حاول بوذا (٥٦٣-٤٨٣ ق. م.) أن ينقل الفكر من التركيز على الآلهة، والتي كان عددها قد جاوز الآلاف في الهندوسية، إلى التركيز على المعاناة الإنسانية والخلاص منها، فأرجع سبب المعاناة إلى تعلق البشر ورغباتهم، وهي التي تخلق الألم عند عدم تحقق الرغبات، وللتخلص من المعاناة والألم، ينبغي التخلص من الرغبة، وبالتالي الوصول إلى النرفانا[٣]، أو اللاتعلق، أو اللارغبة. وفيها يتوحد الإنسان بالكون ويذوب فيه.

ومن المثير للانتباه أنه كان يتحاشى الجواب عن الأسئلة الوجودية والتي تتعلق بنشأة الكون ونهايته، ونشأة الإنسان، وبالتالي الكلام عن الخالق والإله، وبنى فلسفته على تجاهل وجود الآلهة تماما،

---

(١) – الإنسان والأديان – دراسة مقارنة: محمد كمال جعفر، ط دار الثقافة (الدوحة – قطر) أولي ١٩٨٥م، ص٢٥.

(٢) – انظر للمزيد حول هذه الفكرة كتاب: الإنسان في ظل الأديان: عمارة نجيب، ط مكتبة المعارف (الرياض)، حيث تناول الكاتب كل الحضارات القديمة وتساميها إلى التوحيد، ردا على القائلين بنظرية التطور.

(٣) مصطلح سنسكريتي يعبر عن حالة انعتاق عقلي وشعوري تتحصل بالتخلي عن إرادة العيش، وعن المصالح الفردية، وعن أوهام الأحاسيس. موسوعة لالاند الفلسفية: أندريه لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، ط. منشورات عويدات (بيروت، باريس) ثانية ٢٠٠١م (ص٨٧٢).

والاعتماد على الذات في تحقيق المعرفة وطريق الهداية والخلاص، حتى عُرفت البوذية كواحدة من الديانات (الأخلاقية) أي التي تركز على الأخلاق والإنسان، وتهمل النظر فيما يتعلق بالإله[(١)]، مما يعطي انطباعا حولها بأنها ديانة إلحادية، ولكن الحقيقة أن البوذية لم تنف وجود الإله، ولكنها حركة إصلاحية في الهندوسية - أساسًا - ثارت على الطبقية والكهنوت الهندوسي، الذي حجبت طقوسه المعني الحقيقي للدين في نظرهم؛ وهو الخلاص (النيرفانا)، ومن ثم كان اهتمامهم بتنحية هذا الانحراف مع محافظتهم على المحاور الأساسية للفكر الهندوسي، ومنها: (مفاهيم النرفانا – وتكرار المولد – والتناسخ – والألوهية بالضرورة). "ومع ذلك أكد البعض مراراً وتكراراً أن البوذية ليست على الاطلاق دينًا، إنما هي ملحدة؛ لا يمكن ترك هذا القول عالقًا، **فالبوذية والبوذية القديمة أيضاً تعتقد بوجود آلهة غير أنها لا تحملهم على محمل الجد**، وذلك لكونهم لا يمثلون أي دور للخلاص، ومن ثم فالبوذية ليست ملحدة، بل هي مناقضة للدين.

من هنا نري أنه من الضروري قبل الجواب عن السؤال (ما هي البوذية؟) أن نحدد بوضوح ما هو الدين؟ الدين – عند البوذية طبعًا – هو: السعي إلى خلاص من خارج هذا العالم...، وهذا التحديد يجعل مفهوم الدين غير متعلق بأي تصور عن الله، لكنه لا يقصي طبعًا الآلهة، بل يتضمن شكلاً من أشكال الأديان التي لا آلهة لها على غرار البوذية مثلاً"[(٢)].

هذا النقل على طوله يقدم حكمًا على الادعاء "بأن البوذية ملحدة بمعني عدم اعترافها بوجود آلهة"؛ بأنه خاطئ تمامًا، وقصاري ما يمكن وصم البوذية به بأنها تغفل البحث عن الألوهية في تراثها الديني، ولكنها كغيرها من الفلسفات الدينية الهندية تدور في فلك الهندوسية التي تعترف بوجود آلهة لا حصر لها – باعتبارها ثقافة وحضارة وليس باعتبارها دينًا – بدليل أن البوذية المتأخرة أدرجت بوذا

(١) ينظر: الموسوعة الفلسفية: لجنة من الأكاديميين السوفييت، إشراف: روزنتال، يودين، ترجمة: سمير كرم، ط. دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت) (ص٩١-٩٢).

(٢) – مدخل إلى البوذية: كونراد مايزيغ، ترجمة المطران كيرلس سليم بسترس، ط المكتبة البوليسية (بيروت) ط. أولي ٢٠١٠م، ص٢

ضمن الآلهة، واعتبرته إلهـًا.

فالبوذية - في أصلها - ليس لها آلهة خاصة بها، وهي في نفس الوقت لا تنفي وجود آلهة الآخرين.

فالزعم بأن هناك دينًا ملحدًا، قول متناقض في ذاته، فالدين لا يسمي دينـًا إلا إذا كان هناك تصور ما عن قوة عليا أيـًا كان هذا التصور.

مما سبق يمكننا التأكيد بكل ثقة أن الأمم الشرقية القديمة مؤلِّهة، ولم يكن إنكار وجود إله ثقافة سائدة أو حتى معروفة فيها.

المطلب الثاني: إنكار الألوهية في الفلسفة اليونانية.

بسبب غياب التصور الصحيح عن الألوهية والغيب في بلاد اليونان، وذلك لغياب رسالة إلهية توجهت إليهم – فيما نعلم –، كان الهجوم على الآلهة الواردة في الملاحم اليونانية شائعـًا، ولم يكن يلقي معارضة شديدة من المجتمع اليوناني، "وكان هذا الهجوم على العقائد الدينية الموروثة هجومًا في الوقت نفسه على ثقة الناس بالشعراء القدماء، وبالشاعر هوميروس... لأنه عزا إلى الآلهة أعمالاً لو نسبت إلى البشر لألحقت بهم العار والشنار، ولم يتحرك أحد فيما نعلم - ليحول دون مهاجمة الناقد للعقائد الموروثة"(١).

فنقد الآلهة أو الثورة على ما جاء في الملاحم الإغريقية من تصورات عن الآلهة، لا يمكن عده إلحادًا – بالمعني الحديث للكلمة –، وذلك لأنه يتضمن معني الإنكار للألوهية الفاسدة، ولا يصرح بنفي الألوهية الحقة.

وقد كانت الحركة العقلية المتمثلة في الأفكار الفلسفية تموج في بلاد اليونان وتضطرب، وشهدت فترة الخمسة قرون ما قبل الميلاد ظهور العديد من المذاهب والأفكار التي نسب بعضها إلى الإلحاد، ومن أبرز هذه المذاهب التي اتهمت بالإلحاد:

١- **السوفسطائية**: معنى كلمة (السوفسطائي) أي: المعلم، أو الرجل الحكيم الذي أثبت أمام الجمهور

---

(١) – حرية الفكر: ج. بيور، ترجمة محمد عبد العزيز إسحاق، تقديم: إمام عبد الفتاح إمام، ط. المركز القومي للترجمة (القاهرة) ٢٠١٠م، ص ٣٠.

قوة باعه في الأمور العقلية وأظهر مهارته في الخطابة.

وقد بدأت هذه المدرسة في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، واشتهرت بالتركيز على الإنسان خلافا لما كان سائدا في الفلسفة اليونانية من التركيز على الطبيعة، حيث اعتبروا أن فهم الكون يبدأ من داخل الإنسان، فالكون مشكل، وفهمه متعسر، والعقول مختلفة فيه، فلا حقيقة فيه إلا الإنسان، واشتهرت عبارة بروتاغوراس (ت: ٤١١ ق. م): "الإنسان هو مقياس كل شيء"، وبدأت بذور مذاهب الشك والنسبية من هذه المدرسة، وقد نسبت إلى بروتاغوراس بعض المقولات التي توحي بإنكار وجود الآلهة، ولكن يصعب التأكد من ثبوتها نظرا لأن المنقول إنما هو مجرد شذرات من كلامه، ونقلت كذلك بعض النصوص عن بعض السوفسطائيين من أمثال غورغياس، وأنطيفون، وفيها إشارات إلى التشكيك بوجود الآلهة وكذلك ترجيح العمل بقوانين الطبيعة على قوانين الشريعة، إلا أن هذا كله لا يعطي تصورا واضحا حول ما إذا كانوا يتبنون الإلحاد - بمعني نفي الوجود الإلهي - كمذهب لهم أم لا؟ (١).

وقد سبق القول بأن التشكيك في وجود الآلهة الباطلة الوارد أخبارها في الملاحم الإغريقية لا يعد إلحادا بالمعني الحديث للكلمة، بل يعد نوعًا من الثورة على الخرافة والحكايات الباطلة، ولا يمكن الجزم بأنه نفي للوجود الإلهي تمامًا كما يحلو للبعض أن يدعي.

وقد ذكر عدد من المتكلمين في الفرق هذه الطائفة، ونسبوا إليها مذهب الشك في المحسوسات، وأن الحقيقة هي ما يتصوره الإنسان، وممن نقل عنهم مثل هذه الأقوال ابن حزم وناقشهم فيها، وكذلك أبو الحسن الأشعري(٢)؛ وهذه النقول أيضًا لا ترقي إلى مرتبة الدليل على إنكارهم الوجود الإلهي أيضًا.

---

(١) انظر: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون: عزت قرني، ط (جامعة الكويت) ١٩٩٣م، (ص٨٣٠-١٠٢)، مع الفلسفة اليونانية: محمد عبدالرحمن مرحبا، ط منشورات عويدات، بيروت ثالثة، ١٩٨٨م، (ص٨٩-٩١)، فلاسفة اليونان، العصر الأول: جعفر آل ياسين، ط مطبعة الإرشاد (بغداد) ١٩٧١م، (ص١٢٣-١٣٩).

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: مرجع سابق، (١/ ١٤)، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: على بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، ط المكتبة العصرية، أولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (٢/ ٣٢٢).

٢ - **المدرسة الذرية**: بدأت فكرة أن الذرات عنصر أوحد وأساسي للكون في الظهور على يد ديموقريطس (٤٧٠-٣٦١ ق. م)، وعرف بأنه صاحب مذهب الجوهر الفرد أو المذهب الذري، وقد رحل إلى بلدان كثيرة، وألف موسوعة كبرى في أنواع العلوم، ولم يصل منها إلا شذرات متفرقة[١].

وقد فهم البعض أن ديمقريطس يرى عدم وجود الآلهة، وهناك من يشير إلى أن كلامه قد وقع فيه تناقض واضطراب، لكن ليس هناك ما يكفي من الشواهد لتأكيد هذه الآراء أو نفيها، خاصة وأن الذي وصل من كلامه شيء يسير جدا، والذي يبدو أنه لم ينكر وجود الآلهة، وإنما أنكر تدخل الآلهة في الحياة، ولهذا كان من مبادئه: عدم الخوف من الآلهة[٢].

ثم جاء بعده أبيقور، وسلك نفس مذهب ديمقريطس المادي مع شيء من المخالفة له، وكان أيضا ماديا في الأخلاق، ولكنه سعى لتلطيف ماديته، وفسر السعادة والدين والعلاقات الاجتماعية والأخلاق، وتوسع في أمر اللذة دون حياء حتى صار لفظ (أبيقوري) مرادفا للفظ المستهتر[٣].

وأما من حيث موقفه من إثبات الإله فإن أبيقور - فيما يبدو - لم ينكر وجود الآلهة، بل اعترف بآلهة لا تُعد، ولكنه قال إن لها أشكال الإنسان لأن شكله أجمل شكل في الوجود، وهم يأكلون ويشربون ويتكلمون اللغة اليونانية، وجسمهم يتكون من عنصر كالضوء، وهم يعيشون عيشة سعيدة أبدية، ولا يتدخلون في شئون هذا العالم، ولهذا فلا معنى للخوف منها، علاوة على أنه أنكر الحياة بعد الموت، واعتبر أن الموت هو نهاية كل شيء فلا حاجة للخوف منه أو مما بعده[٤].

---

(١) دروس في الفلسفة: يوسف كرم، إبراهيم مدكور، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع (القاهرة) أولى ٢٠١٦م، (ص٦٩-٧٠).

(٢) ديموقريطس فيلسوف الذرة وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة: على سامي النشار، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، (ص٨٧-٨٩).

(٣) دروس في الفلسفة: (ص١٢٥-١٢٨).

(٤) قصة الفلسفة اليونانية: أحمد أمين، زكي نجيب محمود، ط مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة)، ط. ثانية ١٩٣٥م، (ص٣٠١-٣٠٢).

ومما يدل على أنّ الإلحاد كان موجودا في تلك الفترة؛ أنّ أفلاطون جاء بعد ذلك وتحدث عن الإلحاد، وقسمه إلى ثلاثة أشكال:

١ - إنكار وجود الإله.

٢ - الاعتقاد بوجود الآلهة مع إنكار العناية الإلهية بالشئون الإنسانية.

٣- الاعتقاد بأن الآلهة يمكن استجلاب رضاها بالقرابين والدعوات[١].

وهذا التقسيم الذي ذكره أفلاطون يشير - في ظاهره - إلى أن الإلحاد كان موجودا لدى الفلاسفة اليونانيين، وله العديد من الأتباع والمنظرين، ويذكر أفلاطون أن هذه الظاهرة وجدت في كل زمن، فيقول مخاطبا الملحد: "ولست أنت نفسك ولا أصدقاؤك أول الأشخاص، ولا الأشخاص الوحيدين الذين يعتنقون هذه العقيدة كمبدأ لكم عن الآلهة، كلا؛ ففي كل عصر تجد هناك من قاسى من ذلك المرض كثيرون كانوا أو قليلون"[٢].

ولكن في الواقع هذه النصوص عن أفلاطون لا تثبت وجود إلحاد بالمعنى المعاصر - إنكار معني الألوهية كلية -، بل قصارى ما يدل عليه وجود صراع فكري وأيدلوجي بين أنصار الألوهية الملحمية (الآلهة ذات التمثل البشري) وبين المنكرين لهذا اللون من الألوهية، وعلي فرض دلالته على الإلحاد، فلم يكن إلا مذهب جماعات صغيرة لا ترقي أن تصم الأمة اليونانية بأسرها بالإلحاد، وهذا بلا شك لا يثبت وجود نفي لمعني الألوهية جملة، وتبقي المسألة في دائرة الاحتمال لعدم الدليل القاطع بإلحادهم أو إيمانهم.

---

(١) انظر القوانين: أفلاطون، ترجمه من اليونانية للإنجليزية: تيلور، وترجمه إلى العربية: محمد حسن ظاظا، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م (ص٤٥٣).

(٢) القوانين: مرجع سابق، (ص٤٥٢).

المطلب الثالث: إنكار الألوهية عند العرب قبل الإسلام.

وأما بالنسبة للعرب فقد ذهب بعض العلماء إلى أن الإلحاد كان موجودا لدى أفراد منهم، وقد عقد الشهرستاني فصلا بعنوان: (معطلة العرب)، قال: "وهم أصناف: فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة. وقالوا بالطبع المحيي، والدهر المفني، وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}[1]... وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق والإبداع، وأنكروا البعث والإعادة، وهم الذين أخبر عنهم القرآن: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ}[2]... وصنف منهم أقروا بالخالق، وابتداء الخلق ونوع من الإعادة، وأنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام، وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الدار الآخرة، وحجوا إليها، ونحروا لها الهدايا، وقربوا المقرَّبين، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر، وأحلوا وحرموا، وهم الدهماء من العرب"[3].

وهذا التصنيف يدل على أنّ الإلحاد بمعنى نفي الإله لم يكن إلا قول شرذمة قليلة منهم، ولم يكن مذهبا معروفا لديهم، هذا إذا كان تصنيف الشهرستاني مبنيًا على معلومات تاريخية، أما إذا كان مجرد استنباط من الآيات؛ فقد تقدم أن هذه الآيات لا تدل صراحة على كونهم ملاحدة، ولا تعطي هذه الدلالة بصورة قاطعة، فإنها تقطع فقط بأنّ القوم المشار إليهم ينكرون البعث، ولكنها لا تقطع بأنهم ينكرون وجود الله.

والمعروف عن العرب أنهم ورثوا دين إبراهيم عليه السلام حتى دخلت عليهم الوثنية، وحتى بعد دخول الوثنية فإنهم ظلوا على تعظيمٍ كبير لله تعالى، ومثل هذا الحال يستبعد معه الوصول إلى درجة الإلحاد بمعنى إنكار وجود الله تعالى.

وقد تتبع الباحث "حسني يوسف الأطير" القول بوجود مذهب نفي الألوهية عند العرب

---

(١) سورة الجاثية: ٢٤

(٢) سورة يس: ٧٨

(٣) الملل والنحل، الناشر: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ط مؤسسة الحلبي، (٣/ ٧٩-٨٠).

بالتفنيد والدحض، وقال ملخصــًا عمله: "فإن غايتنا من هذا البحث أن نثبت أنه لم يوجد بين العرب قبل الإســلام من دان بالمذهب الدهري المنكر للألوهية، بل كانوا جميعـًا مقرين بها، وإن اختلفت تصوراتهم حول الوحدانية والتعدد، وعلاقة الخالق بخلقه"(١).

وقد وضــح الأطير أن علماء الفرق والمقالات لم يلتزموا الدقة في تفصــيل مذهب المعطلة، وخلطوا بينهم وبين القـائلين بمختلف الآراء التي لا تتوافق مع مـا جـاء بـه الإســلام وتبنـاه الفكر الإسـلامي، وضـرب مثلاً بالخلط بين المعطلة وبين القائلين بقدم الأجسـام مع إثباتهم الصـانع(٢)، فلم يكن الأمر في غاية الوضـوح كما يُظَن؛ بل الأمر مختلط، وغاية ما وصـلنا عن العرب أنهم انحرفوا عن التصور الصحيح عن الألوهية فعبدوا الأصنام ظنـًا أنها تقربهم إلى الله زلفى وهكذا..

وهذه النظرة في التاريخ القديم قبل الإســلام تعطينا تصــورا عن أن الإلحاد لم يتمثل في مذهب معين بصــورة واضــحة، وهذا الذي حدا بكثير من العلماء إلى نفي وجود القول بالإلحاد – بمعني نفي الألوهية عمومـًا – لدى الأمم السابقة:

فيقول الشــهرســتاني: "أما تعطيل العالم عن الصــانع العالم القادر الحكيم فلســت أراها مقالة لأحد، ولا أعرف عليه صـاحب مقالة إلا ما نقل عن شـرذمة قليلة من الدهرية أنهم قالوا: العالم كان في الأزل أجزاء مبثوثة تتحرك على غير اســتقامة واصــطكت اتفاقا فحصــل عنها العالم بشـكله الذي تراه عليه... ولست أرى صـاحب هذه المقالة ممن ينكر الصـانع، بل هو معترف بالصـانع لكنه يحيل سبب وجود العالم على البحث والاتفاق احترازا عن التعليل"(٣).

وهذا التصـريح من الإمام الشـهرسـتاني بعدم وجود من يسـتسـيغ عقله إنكار وجود الإله – فيما أحسب – ناقد لكلامه عن العرب وغيرهم في نفي الوجود الإلهي.

---

(١) – المذهب الدهري عند العرب: حسني يوسف الأطير، ط دار البيان (القاهرة) أولي ١٩٨٤م، ص ١٤.

(٢) – المرجع السابق: ص ٦٤.

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام: محمد بن عبد الكريم الشــهرســتاني، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط دار الكتب العلمية (بيروت) الطبعة الأولى / ١٤٢٥هـ.

ولا يفوتنا أن نؤكد على أمر بالغ الأهمية؛ أنه يوجد فرق ضخم بين إنكار الألوهية رأسًا، وبين إنكار الخالق أو إنكار أية عقيدة أو إخبار ديني آخر، فنفي الصانع لا ينفي بالضرورة وجود الإله، بل قصارى ما يدل عليه تصور شاذ عن علاقة الإله بالخلق والمخلوقين، ولا يمكن الحكم على معتقده بالإلحاد بالمعني المعاصر، وكذلك من ينكر البعث أو أي عقيدة دينية أخري؛ فهو في الاصطلاح الصحيح ليس ملحداً - بمعني إنكار وجود إله -؛ بل هو منكر لشيء آخر، وبالتالي لا يمكن اعتباره ملحداً بالمعني المعاصر للكلمة.

ويقول الغزالي وهو يتحدث عن أن الإيمان بالله واليوم الآخر أصلان مشهوران عند البشر: "لم يذهب إلى إنكارهما إلا شرذمة يسيرة من ذوي العقول المنكوسة والآراء المعكوسة الذين لا يؤبه لهم، ولا يعبأ بهم فيما بين النظار، ولا يعدون إلا من زمرة الشياطين الأشرار، وغمار الأغبياء والأغمار"[١].

ومما سبق يمكننا أن نقرر أن نفي الألوهية رأسًا لم يشتهر عن العرب، ولم يكن له أنصار بينهم - على التحقيق -.

(١) تهافت الفلاسفة: الغزالي، سليمان دنيا، ط دار المعارف(مصر) رابعة، (ص٧٥).

المبحث الثاني

الإلحاد في الفكر الإسلامي

حاول الملاحدة اكتساب نوع من المشروعية في المجتمعات الإسلامية فزعموا وجود جماعات من الملاحدة في الحضارة الإسلامية، كانوا هم قادة الرأي والفكر وأساطين العلم، ولذلك فالطريق الصحيح اطراح الدين والأخذ بأساليب التفكير النقدي – حسب رؤيتهم – حتى تنهض الأمة وتعود إلى سابق عهدها من المجد العلمي والحضاري. وهذا كلام مضلل لا يعبر عن الحقيقة أو السبيل الصحيح المستقيم كما سيتضح مما يلي من مطالب:

المطلب الأول: الرؤية الإلحادية للإلحاد في الحضارة الإسلامية.

عبثًا حاول الملاحدة التأصيل لإلحادهم في التاريخ الإسلامي واتبعوا سبيلاً واضحًا في نسبة الإلحاد لمجموعة من المفكرين، ومن أبرزهم:

١- **عبدالله ابن المقفع (ت: ١٤٥هـ)**: كان مجوسيا، وأسلم على يد عيسى عم الخليفة المنصور، وله العديد من المؤلفات الأدبية، ومن أشهرها: (الدرة اليتيمة) و(كليلة ودمنة) وقيل: إنه قام بتعريب هذا الكتاب من الفارسية، وقد وقع الخلاف الكبير حول حقيقة ما كان يعتقده، حيث اتهمه البعض بالزندقة، واتهم بمعارضة القرآن، ودافع عنه آخرون، إلا أن الظاهر في شأنه أنه لم يكن ملحدا بمعنى إنكار وجود الخالق، إنما غاية ما في الأمر – لو ثبت هذا عنه – أنه كان عنده انحراف في شأن النبوة والتزام أحكام الدين، ومما تجدر الإشارة إليه أن قتله لم يكن بسبب ما نسب إليه، وإنما كان بسبب خلافه مع سفيان بن معاوية أمير البصرة، وانضاف إلى هذا كتاب الأمان الذي صاغه لعبدالله بن علي، وفيه ذكر إلزام الخليفة المنصور بهذا الأمان بطريقة أثارت المنصور فأوعز إلى سفيان بقتله فقتله[1].

---

(١) ينظر في الكلام عنه: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م (٨/ ٥٢)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق، إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، ١٩٠٠-١٩٩٤م (٢/ ١٥١)، البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة =

٢- **ابن الراوندي**: ولد سنة ٢١٠هـ، واختلف في وفاته، فقيل: توفي وعمره ٣٦، وقيل: توفي وعمره ٨٤، قال الذهبي: "الملحد، عدو الدين، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الريوندي، صاحب التصانيف في الحط على الملة، وكان يلازم الرافضة والملاحدة، فإذا عوتب، قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم".

وقد تكلم عليه ابن الجوزي بكلام طويل، فقال: "قد كنت أسمع عنه بالعظائم حتى رأيت ما لم يخطر مثله على قلب أن يقوله عاقل، ووقعت على كتبه فمنها: كتاب "نعت الحكمة"، وكتاب "قضيب الذهب"، وكتاب "الزمرد"، وكتاب "التاج"، وكتاب "الدامغ"، وكتاب "الفريد"، وكتاب "إمامة المفضول"، ثم ذكر العديد من الشواهد من كلامه المتضمن للطعن في الإسلام وفي القرآن وفي النبوة، وهي أشياء لا يمكن أن تصدر عن مؤمن موحد.

وقد تتابع العلماء والمؤرخون على وصفه بالزندقة والإلحاد، حتى المعتزلة الذين كان واحدا منهم(١).

٣- **أبو بكر الرازي**: محمد بن زكريا الطبيب (ت: ٣١١هـ) وقد كان من أشهر وأمهر الأطباء، وله العديد من الكتب في الطب وغيره، وقد اتهمه عدد من العلماء بالإلحاد، فذكر ابن حزم بعض أقواله، كالقول بتناسخ الأرواح، وعقيدته في القدماء الخمسة: واجب الوجود، والنفس، والهيولى، والدهر، والخلاء،

والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م (١٣/ ٣٨٤)، سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م (٦/ ٢٠٨)، وهذا مقال للدكتور إبراهيم عوض في الدفاع عن ابن المقفع:

https: //vb. tafsir. net/tafsir15307/#. XmIeE6jXLIU

وهذا مقال آخر لرضا البطاوي في صحيفة دنيا الوطن يدافع فيه كذلك عن ابن المقفع، وأورد العديد من الشواهد من كلامه تدل على أنه لم يكن ملحدا بل على العكس من ذلك تماما:

ttps: //pulpit. alwatanvoice. com/content/print/472218. html(h)

(١) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، (١٣/ ١٠٨-١١٧)، وسير أعلام النبلاء، (١٤/ ٥٩-٦٥)، والبداية والنهاية، (١٤/ ٧٦٤-٧٦٧).

وذكر أنه قد رد على كتابه: (العلم الإلهي)[١].

وقد تكلم الدكتور س. بينيس في كتابه (مذهب الذرة عند المسلمين) على مذهب الرازي بالتفصيل، وذكر قول الرازي: إن القدماء أو الجواهر خمسة: الباري والنفس والهيولى والزمان والمكان، وكان مما قاله في شأن الرازي: "هو معروف عندنا – أي: الأوروبيين – بأنه من أكبر مفكري الإسلام وعباقرته، ولا أستطيع هنا بيان تأثيره كطبيب من أكبر أطباء الإسلام، وكفيلسوف، وعالم بالكيمياء، وكملحد كبير"[٢].

والغريب في أمره أن أبرز من ردَّ عليه هم الإسماعيلية، مثل: ناصر خسرو، كما يذكر الدكتور بينيس، وكذلك أبو حاتم الرازي أحمد بن حمدان الورسناني الإسماعيلي في كتابه: (أعلام النبوة)، وسماه ملحدا[٣]، ويذكر طرابيشي في مقدمة تحقيقه لكتاب (أعلام النبوة) أن الرازي كان محل انتقاد من الكثير من الفلاسفة والباطنية!، فيقول: "فزملاؤه التالون من الفلاسفة أصدروا عليه حكم إعدام فلسفي، مع إقرارهم له بتجليته كطبيب، وهكذا دمغه ابن سينا في معرض أجوبته عن أسئلة البيروني، بأنه ذلك المتكلف الفضولي الذي بلغ الغاية في المعالجات الطبية، ولكنه عندما تجاوز قدره في بطّ الجراح والنظر في الأبوال والبرازات وتصدى لشرح الإلهيات، تكلم بالعوراء والخبائث، وفضح نفسه وأبدى جهله فيما حاوله ورامه.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، مرجع سابق، (١/ ١٠، ٣٥، ٧٧).

(٢) مذاهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود، ومعه فلسفة محمد بن زكريا الرازي: س. بينيس، ترجمة: محمد عبد الهادي، ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، (ص٣٦).

(٣) لكن من المهم هنا التنبيه على أنه لم يسم من هو هذا الملحد، وإنما ذكر آراء الرازي، وقد وقع المحقق (جورج طرابيشي) في تقصير كبير عندما اكتفى بقوله: "ومع أن الصفحة الأولى من النسخ المخطوطة قد سقطت وغاب بالتالي اسم الشخص الذي يتصدى مؤلف (أعلام النبوة) للرد عليه، فلا داعي للشك – لأسباب لا يتسع المجال هنا للخوض فيها– في أن من يسميه أبو حاتم في سائر فصول كتابه "الملحد" هو محمد بن زكريا الرازي". (ص٩)، وكان الواجب على المحقق ذكر هذه الأسباب ولو طالت المقدمة، إذ إن هذا هو من صميم عمل التحقيق!

و كان ذلك أيضـا موقف ابن ميمون القرطبي الذي خصـه في كتابه (دلالة الحائرين) بفقرة جاء فيها: "للرازي كتاب مشهور وسَمَه بالإلهيات ضمَّنه من هذياناته وجهالاته عظائم"، ثم عاد يؤكد في رسـالته إلى ابن طبون – مترجم كتاب دلائل الحائرين إلى العبرية– أن "كتاب العلم الإلهي الذي ألَّفه الرازي عديم الفائدة، لأن الرازي كان طبيبا فقط"، ولم يكن حظ الرازي مع كبار مصـنفي تواريخ الفلسفة في المأثور العربي الإسلامي بأحسن حالا، فقد تناقلوا جميعهم بدءًا بالقفطي وانتهاء بابن أبي أصيبعة الحكم الصارم الذي كان أصدره عليه صاعد الأندلسي في كتاب (طبقات الأمم) الذي وضعه سنة ٤٦٠ هـ عندما أشاد به بوصفه طبيبا للمسلمين غير مدافع، ولكن ليضيف حالا: "إلا أنه لم يوغل في العلم، ولا فهم غرضه الأقصى، فاضطرب لذلك رأيه، وتقلد آراء سخيفة وانتحل مذاهب خبيثة"(١).

٤- **أبوحيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ)**: يقول الذهبي في ترجمة أبي حيان التوحيدي: "الضـال الملحد، أبو حيان على بن محمد بن العباس البغدادي، الصوفي، صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية، ويقال: كان من أعيان الشافعية.

قال ابن بابي في كتاب (الخريدة والفريدة): كان أبو حيان هذا كذابا، قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان، تعرض لأمور جسـام من القدح في الشـريعة والقول بالتعطيل، ولقد وقف سيدنا الوزير الصـاحب كافي الكفاة على بعض ما كان يدغله ويخفيه من سـوء الاعتقاد، فطلبه ليقتله، فهرب، والتجأ إلى أعدائه، ونفق عليهم تزخرفُهُ وَإِفكُه، ثم عثروا منه على قبيح دِخْلَتِهِ وسـوء عقيدته، وما يبطنه من الإلحاد، ويرومه في الإسلام من الفساد، وما يلصقه بأعلام الصحابة من القبائح، ويضيفه إلى السـلف الصـالح من الفضـائح، فطلبه الوزير المهلبي، فاسـتتر منه، ومات في الاسـتتار، وأراح الله منه، ولم يؤثر عنه إلا مثلبة أو مخزية.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: زنادقة الإسـلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو

---

(١) مقدمة كتاب (أعلام النبوة) لأبي حاتم الرازي: جورج طرابيشـي، ط دار السـاقي، (بيروت)، المؤسـسـة العربية للتحديث الفكري (جنيف) أولى، ٢٠٠٣م، (ص٧-٨).

العلاء المعري، وأشدهم على الإسلام أبو حيان، لأنهما صرحا، وهو مجمجم ولم يصرح"(١).

ونقل الذهبي بعض كلام من مدحه: " قال الشيخ محيي الدين في (تهذيب الأسماء): أبو حيان من أصحابنا المصنفين..

وقال ابن النجار: له المصنفات الحسنة (كالبصائر)، وغيرها، قال: وكان فقيرا صابرا متدينا صحيح العقيدة"(٢).

وقد دافع السبكي عن أبي حيان فقال: "قلت الحامل للذهبي على الوقيعة في التوحيدي مع ما يبطنه من بغض الصوفية هذان الكلامان (يعني كلام ابن بابي وكلام ابن الجوزي)، ولم يثبت عندي إلى الآن من حال أبي حيان ما يوجب الوقيعة فيه ووقفت على كثير من كلامه فلم أجد فيه إلا ما يدل على أنه كان قوي النفس مزدريا بأهل عصره لا يوجب هذا القدر أن ينال منه هذا النيل، وسئل الشيخ الإمام الوالد رحمه الله عنه فأجاب بقريب مما أقول"(٣). وممن ترجم له وذكر فيه ثناء ولم يذكر قدحا:

- الإسنوي في طبقات الشافعية(٤).

- الشيرازي في شد الأزار في حط الأوزار عن زوار المزار(٥).

- ياقوت الحموي في معجم الأدباء وأطال في ترجمته(٦).

---

(١) سير أعلام النبلاء، (١٧/ ١١٩-١٢٠)

(٢) سير أعلام النبلاء، (١٧/ ١٢٢).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط. هجر للطباعة والنشر والتوزيع (الرياض) ثانية، ١٤١٣هـ، (٥/ ٢٨٨).

(٤) طبقات الشافعية: عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط دار الكتب العلمية، أولى ٢٠٠٢م (١/ ١٤٤-١٤٥).

(٥) شد الأزار في حط الأوزار عن زوار المزار: الجنيد بن محمود بن محمد الشيرازي، تحقيق: محمد القزويني، وعباس إقبال، ط مطبعة المجلس (طهران) ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، (ص٥٣-٥٥).

(٦) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، ط. دار الغرب الإسلامي (بيروت) أولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م (٤/ ٢٨٧-٣١٤).

ومن خلال هذا يتبين أنه ليس هناك اتفاق على وسـم التوحيدي بالإلحاد، بل الخلاف في هذا شـديد جدا، وهناك من يؤكد بأن مؤلفات التوحيدي تتضـمن تعظيم أهل الحديث وتعظيم السـلف، وفيها نقد لأهل الكلام - مع موافقته لهم في مواضـع -(١)، ومن الممكن القول بأنه من الصـعب الجزم بما نسبه له الناقدون له، وذلك لثلاثة أسباب:

الأول: أنه قد وجد خلاف بين التوحيدي وبين الوزير ابن عباد، ولم يكن سـببه الرأي، وإنما يرجع إلى عدم إعطاء ابن عباد للتوحيدي ما كان يصـبو إليه، فرجع يذمه وألف فيه كتابا، فيبدو أن ابن عباد قابل الطعن بالطعن، وهذا ما يمكن أن نستشفه من كلام ابن بابي الذي نقله الذهبي.

الثاني: أن التوحيدي كان شـخصـية جريئة في آرائها مع وجود نوع من الاضـطراب، وكان كثير الذم لحاله وعدم الرضا بما هو عليه، وهذا يجعل منه شخصية قابلة للدخول في خصومات وخلافات مع الآخرين مما قد يحمل الآخرين على فهم مواقفه وآرائه بطريقة مختلفة.

الثالث - وهو السـبب الأهم-: أن التوحيدي أحرق كتبه في حياته، والذي نُقِل هو مما كتب عنه قبل ذلك، وهذا يجعلها عرضة لوقوع الخطأ فيها.

ويبقى أن هذه الشخصية من الشخصيات الجدلية التي يصعب تحديد موقف واضح منها، لكن الذي يمكن الجزم به أن التوحيدي لم يكن ملحدا بمعنى نفي الإله أو حتى إبطال الدين، وإنما غاية ما نسبه إليه الناقدون له الطعن في الصحابة، وبعض الآراء الغريبة، حتى أن ابن الجوزي في عبارته السابقة يصرح بأن كلام التوحيدي لم يكن صريحا في الزندقة والإلحاد.

٥- **أبو العلاء المعري**: أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري (٣٦٣- ٤٤٩هـ)، وهو من الشـخصـيات الجدلية التي دار الكثير من الخلاف حول حقيقة ما يعتقده ويراه منذ أن كان على قيد الحياة إلى يومنا هذا، فقد طعن فيه الكثير من أهل السـير والأخبار ومن أهل العلم والدين، وعدُّوه من الملاحدة والزنادقة، واشـتهر وصـفه بالزنديق مقترنا ببعض الشـخصـيات الشـبيهة بحاله مثل: ابن

(١) ينظر في هذا مقطع للدكتور الشريف حاتم العوني تحدث فيه عن الموقف من التوحيدي:
(https: //www. youtube. com/watch?v=WHGnih٥peuE)

الراوندي، وأبي حيان التوحيدي، وقد تقدم الكلام فيهما، حتى قال ابن كثير في ترجمته: "أبو العلاء المعري التنوخي الشاعر المشهور بالزندقة"(١)، وقد ساق المترجمون له عددا من مواقفه وأبياته التي تتضمن الشك في الدين والسخرية والاستهزاء ببعض أحكامه وكذلك الأديان والنبوات، ومن أمثلتها:

يقول الحموي: " ومن أشعاره الدالة على سوء اعتقاده قوله في لزوم ما لا يلزم (وهو أحد كتبه):

وهيهات البرية في ضلال ... وقد نظر اللبيب لما اعتراها
تقدّم صاحب التوراة موسى ... وأوقع في الخسار من اقتراها
فقال رجاله وحي أتاه ... وقال الناظرون بل افتراها
وما حجّي إلى أحجار بيت ... كؤوس الخمر تشرب في ذراها
إذا رجع الحليم إلى حجاه ... تهاون بالمذاهب وازدراها

ومنها أيضا:

خذ المرآة واستخبر نجوما ... تمرّ بمطعم الأريِ المشور
تدلّ على الممات بلا ارتياب ... ولكن لا تدلّ على النشور"(٢).

وغير هذا الكثير من الأبيات، ولعل أكثر هذه السقطات هي في كتابه (لزوم ما لا يلزم) كما قال الميمني – وهو من المدافعين عن المعري-: "لا غرو أن له كثيرا من الشعر في (اللزوم) و(استغفر) مما يرمي إلى المروق كالاعتراض على حكمة الباري سبحانه وإرادته الخير، وإنكاره النبوات، والاستخفاف بأنبياء الله وبالشرائع، وإنكار البعث والمعاد، والقول بقدم العالم، والذهاب إلى آراء الفلاسفة في أن العالم كالنبت يزهر ثم يذبل، وجناية الوالد على الأولاد، وتحريمه أكل كل ما لا ينبته الأرض كاللحم واللبن والجبن والعسل، واختياره إحراق الميت على دفنه، وغيره مما يطول بنا سرده،

---

(١) البداية والنهاية، (١٥/ ٧٤٥)، وينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، (١٦/ ٢٣-٢٧)، سير أعلام النبلاء، (١٨/ ٢٥-٣١).

(٢) معجم الأدباء: الحموي، (١/ ٣٣٥-٣٣٩)

لكن لا يوجد له شيء في غير اللزوم من هذا النحو"[(١)].

وفي المقابل دافع الكثيرون عن المعري وألف في الدفاع عنه مؤلفات، ومن أبرزها:

- (الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري) لأبي القاسم عمر بن أحمد الشهير بابن العديم (ت: ٦٦٠هـ).
- (أبو العلاء وما إليه) لعبد العزيز الميمني الراجكوتي الهندي (ت: ١٣٩٨هـ).
- (أباطيل وأسمار) لأبي فهر محمود شاكر (ت: ١٤١٨هـ).

واستند المدافعون عنه إلى أن كثيرا مما نسب إليه مشكوك في ثبوته وصحة نسبته إليه، وما ثبت عنه قد يكون قاله في حال معين أو على سبيل حب الظُّرْف والاستطراف فأنشأ شعرا في جميع الأبواب، ويدل لهذا بقية مؤلفاته التي ليس فيها شيء من هذه القبائح، مع دلالة حاله على عدم اعتقاده هذه القبائح، فالذي يعتقد مثل هذه العقائد لا يمكن أن يكون على مثل الحال الذي كان عليه المعري من التدين والمحافظة على الصلاة والبعد عن المحرمات، وهذا دليل على عدم اعتقاده هذه الأمور، حتى إن كبار أهل عصره شهدوا له ولم يتكلموا عنه بسوء، يقول الميمني: "ولم أر في معارفه وهم خلق لا يحصون أحدا قرفه بما قرفه به الأجانب، وهذا لعمري عجب عاجب، وهذا التبريزي وغيره من التلامذة وغيرهم من زوَّاره بالمعرة، ومنهم شيخ الإسلام الصابوني والقاضي عبدالوهاب المالكي، ومن البغاددة أبو الطيب الطبري وأبو حامد الاسفرائيني المجدد، قبلوا هداياه أو نزلوا عليه أو رغبوا في اصطفائه ووده، والأندلسيون معروفون بالصلابة في أمر الدين ولم أر لهم كلمة في القذف، وما ذاك إلا ضنا منهم بدينهم أن يتهموا بريئا فظهر مصداق قول ابن العديم: إن الذين لقوه وصفوه بكل جميل، والذين لم يلقوه ولا عرفوه رموه بكل قبيح"[(٢)].

وهذه الحجج لها حظها من النظر في مقابل قوة ما استند إليه الطاعنون عليه من أقواله وأبياته، مما يجعل الناظر يتردد في حقيقة ما كان عليه، إلا أن الذي يكاد يجزم به الباحث أن المعري كان

(١) أبو العلاء وما إليه: عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، ط دار الكتب العلمية (بيروت) أولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، (ص٢٢٠).

(٢) عبدالعزيز الميمني، أبو العلاء وما إليه، (ص٢٢٣-٢٢٤).

شـــخصـــا يعاني من نظرة تشـــاؤمية للحياة أثَّرت في عدد من أفكاره، وأورثته نوعا من الحيرة والشـــك والاضطراب الذي يظهر في عدد من أبياته وكلماته، مع تأثره بعدد من الأفكار الفلسفية المنحرفة.

وفي المقابل لا يمكن أن يقال عنه إنه كان من الملاحدة الذين ينكرون وجود الله تعالى، بل إيمانه بوجود الله تعالى أمر ظاهر في أحواله وأقواله، بل كان على قدر كبير من الديانة والتحفظ واجتناب المناهي الشرعية والمحافظة على الواجبات.

لكن محل الإشـكال الأكبر هو في مدى ما وصـل إليه من شـك وتردد وتأثر بالأفكار الفلسـفية المنحرفة، وهل وصـــل إلى حد إنكار النبوة حقا؟ وهل هو معترض على شـــريعة الإســـلام غير معتقد لصحتها؟ هذه أسئلة يصعب الجزم بجوابها، والله أعلم.

المطلب الثاني: نقد الرؤية الملحدة حول وجود الإلحاد في التاريخ الإسلامي.

جاء الإســلام مختلفا عن الرســالات الســابقة إلى حد كبير، فبخلاف الرســالات الســابقة التي اعتمدت في ثبوتها على المعجزات إلى حد كبير، جاء الإســـلام معتمدا في ثبوته على الحجة العقلية بالدرجة الأولى، وهذا ما أشـار إليه النبي صـلى الله عليه وسـلم بقوله: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشــر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"(١).

ومن هنا فقد تميز الإســـلام بقوة حججه ووضـــوح براهينه، خاصـــة فيما يتعلق بأصـــول الديانة والاعتقاد، الأمر الذي لم يعطِ المجال للطعن فيه، وحتى الطعونات التي وجهت إليه تم دحضـــها بقوة ولم تتمكن من الثبات أمام قوة حججه وبراهينه.

وفي الحقيقة كانت عظمة الإسلام تبهر العقول وترضي العواطف، فلم يكن الإنسان يملك أمام جلال الحق إلا التســـليم والإذعان والتســـليم، بيد أن هناك مجموعة من العوامل جعلت من ثبات المعتقدات أمراً بالغ الصـعوبة، ما حفز مجموعات من الناس قلقة تسـعي لرؤية جديدة للدين وعلاقته

---

(١) صـــحيح البخاري، كتاب فضـــائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، (٦/ ١٨٢) (٤٩٨١)، وصـــحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١/ ١٣٤) (١٥٢).

بالدنيا؛ وذلك بسبب اهتزاز المثال والتوتر الذي ساد العلاقة بين الواقع في مجتمعات المسلمين وبين المثال الذي مثلته الشريعة الإسلامية، فبسبب التوترات بين المذاهب الإسلامية وجور القائمين على السلطة بعد عصر الراشدين، وتمسحهم بالسنة النبوية، وبناء طغيانهم على أسس دينية، ثار هؤلاء على الدين بحجة أنه هو المسؤول عن هذا الوضع المتردي الذي وصل إليه المسلمون؛ وفاتهم أن الإسلام كدين ليس مسؤولاً أبداً عن حال أتباعه، ومدي تطبيقهم لهديه من عدمه.

ويشهد لما سبق من أن القلق الذي ساور مجموعات من المسلمين (عامة ومفكرين) ما هو إلا نوع من الاعتراض على الواقع المزري، ولكنهم ما أجادوا الاعتراض، وانحرف بهم الشيطان عن طريق الحق، ولذلك فمن الجور في الحكم أن نصمهم بوصف الإلحاد بمعناه الغربي فهم ما أنكروا وجود الإله بل ويا للمفارقة أن نجد منهم من يحاول تنزيه الله عما يرتكب باسمه – على حد زعمهم –، "وهكذا نري أن الملاحدة المسلمين لا تنطبق عليهم صفة الإلحاد في المفهوم الغربي؛ التي تعني إنكار الله، فهم اعترفوا بوجود الله، بل وحاولوا تنزيهه عن الأخطاء التي زعموا أنها ترتكب باسمه"(١).

وهذه النماذج في التاريخ الإسلامي لا ترقى إلى أن تكون ظاهرة فضلا عن أن تكون مذهبا معروفا، وإنما هي حالات فردية لا يخلو من أمثالها زمن من الأزمان ولا دين من الأديان، ولهذا من المجازفة القول بأن الإلحاد له تاريخ في الإسلام، وإنما الواقع أن هذه شذوذات لا تمثل تاريخا ولا حالة عامة – ونتيجة لواقع معين – سبق بيانه، وبالتالي فلا يمكن اعتبارها مواقف فكرية تعبر عن قناعة عقلية بقدر ما تعبر عن اعتراض فقد بوصلته على وضع شاذ خالف فيه المسلمون دينهم وشريعة ربهم..

يقول محمد عمارة: "لم يكن الإلحاد ظاهرة في تاريخ الحضارة الإسلامية، بل لا نلمح له وجودا حقيقيا، قد نجد شخصيات قلقة إزاء الإيمان الديني، وأغلب هذا القلق إنما كان بمعايير المذاهب التي تقف عند ظواهر النصوص الدينية والتي تنفر من التأويل، أما إذا عرض هذا القلق على مذاهب التأويل التي اتسعت آفاقها في الفلسفة الإسلامية وعلى مذاهب الإسلاميين التي جعلت (الشك

(١) – حوار مع الملحدين في التراث: عصام محفوظ، ط دار الفارابي (بيروت) أولي ٢٠٠٤م، ص ١٨.

المنهجي) السبيل إلى اليقين فلن نجد لهذا القلق ولا لهذه الشكوك أثرا يربط بينها وبين حقيقة الإلحاد الذي لا يؤمن أصحابه إلا بالمادة مصدرا للمعرفة"[١].

ومما تقدم لا يمكن الزعم بأن هناك إلحادًا – بالمعني الغربي قبل الإسلام أو في تاريخه هو، وهو ما يحرم الملاحدة من حجة وبرهان اجتماعي يسعون لتأكيده كنوع من الدعم النفسي للملاحدة (لست وحدك من ألحدت بل سـبقك مفكرون عظام)، وكنوع من الدعاية للســذج من الناس الذين لا يعوون الفروق بين استعمالات المصطلحات.

(١) وهم الإلحاد: عمرو شريف، مجلة الأزهر، هدية المحرم، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٣م (المقدمة ص٤).

المبحث الثالث

الإلحــاد المعاصـــر

إذا جئنا إلى الحديث عن الإلحاد المعاصـــر، فإن نشـــأة هذا الإلحاد كانت في أحضـــان القارة الأوروبية، وكان في بداية الأمر يمثل توجهات فردية ونزعات محدودة لدى البعض، وذلك نظرا لسطوة الكنيســة التي لم تكن تقبل بمثل هذه الأفكار، وتقابلها بعنف شـديد، حتى إن مجرد مخالفتها في بعض القضـــايا العقدية كان يعد كفرا وهرطقة وتجديفا يتوجب العقوبة التي تصـــل إلى القتل والحرق، كما فعلت مع الآريوسيين الذين خالفوا في قضية طبيعة المسيح وهل هو إله أم لا؟ مع أن الكثير منهم كانوا من الرهبان والقســـاوســـة، وكما فعلت كذلك مع عدد من العلماء والمفكرين الذين كانت لهم آراء تخالف ما تعتقده الكنيســة من أمثال: الطبيب "ميشـيل سـرفيه" الذي أظهر اكتشـاف الدورة الدموية، و"جيوردانو برونو" الذي أتي بفكرة أن هناك حياة خارج الأرض، وكذلك "كوبرينكس" و"جاليليو" الذين نادوا بفكرة دوران الأرض وعدم مركزيتها، وغيرهم(١)، كما أن القانون كان ينص على إعدام الملحدين، فكان التصريح بالإلحاد أمرا نادرا(٢).

المطلب الأول: الإلحاد في بداية عصر النهضة الأوربية.

لم يتحول الإلحاد إلى تيار عريض وحركة لها منظرون ومفكرون ومراجع ومراكز أبحاث بل وجامعات ودول في أوروبا إلا في القرن التاسع عشر وذلك بعد سقوط الكنيسة.

وقد كانت هناك بوادر للإلحاد في أوروبا ظهرت في القرنين الخامس والسادس عشـر، وقد رصد رمســـيس عوض عددا غير قليل من الحالات التي دارت حولها تهمة الإلحاد في تلك الفترة، ومن أمثلة هذا:

١ – جيوفروي فاليه، الذي أعدم سنة ١٥٧٤م بتهمة الإلحاد، ولم يكن أمر إلحاده واضحا، فقد وجدت

(١) انظر: الإلحاد وأسـبابه، الصـحة السـوداء للكنيسـة: زينب عبد العزيز، ط دار الكتاب العربي، (دمشـق– القاهرة) أولى، ٢٠٠٤م، (ص٦٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠٣).

(٢) انظر: الإلحاد في الغرب: مرجع سابق، (ص١٨).

له نبذة هاجم فيها الكاثوليكية والبروتستانتية وكذلك الإلحاد.

٢- جوليو سيزار فانيني، الذي ولد عام ١٥٨٥م، وقد أعلن أن العبادة الحقة هي عبادة الطبيعة وليست عبادة الله.

٣- الفيز كابواتو، وأدين عام ١٥٨٠م بالإلحاد، وقد ذهب إلى أن العالم وليد الصدفة[١].

ويذكر أن الإلحاد في إيطاليا انتشر في القرنين الخامس عشر والسادس عشر بين أوساط عامة الناس فضلا عن المتعلمين والأكاديميين، إلا أن هذا محل شك، لأن وصف الإلحاد كان يطلق حتى على من يخالف المبادئ الدينية ويسلك طريق المجون[٢].

وفي هذه المرحلة ظهرت بعض الشخصيات التي كان لها أثر في ظهور الإلحاد من خلال بعض الأفكار الجديدة التي تبنوها، والتي فتحت الباب أمام التحرر من القيود الفكرية التي وضعتها الكنيسة على التفكير والعلم، مع التأكيد على أن هؤلاء لم يكونوا ملاحدة، ومن أبرزهم: نيقولاس كوبرنيكوس (١٤٧٣-١٥٤٣م)، وجاليليو (١٥٦٤-١٦٤٢م)، وليوناردو دافنشي (١٤٥٢-١٥١٩م)، ونيقولا ماكيافيلي (١٤٦٩-١٥٢٧م) وغيرهم.

وأما في القرن السابع عشر فإن الحال قد تغير كثيرا، حيث ظهر العديد من الفلاسفة الذين أتوا بنظريات جديدة تتعلق بالكون والمجتمع والإنسان والعلم، ومن أبرز هؤلاء: فرانسيس بيكون (١٥٦١-١٦٢٦م) والذي عرف بأنه مؤسس المذهب التجريبي في الفلسفة الحديثة، ورينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠م) والذي يعتبر مؤسس الفلسفة الحديثة وأحد رواد مذهب الشك، وتوماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩م) وهو من أوائل الماديين المحدثين، وجون لوك (١٦٣٢-١٧٠٤م) وهو أحد أبرز الفلاسفة التجريبيين ومؤسس الليبرالية الحديثة، وسبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧م) الذي يعد من أول وأبرز من نقد الكتاب المقدس بشقيه (القديم والجديد).

وجميع هؤلاء – ربما باستثناء سبينوزا- كانوا يؤمنون بوجود الله، بل منهم من كان يعد من

---

(١) الإلحاد في الغرب: مرجع سابق: (ص٢٧).

(٢) المرجع السابق: (ص٢٤، ٣٠).

المتدينين جدا، إلا أنهم اتهموا في زمنهم بالإلحاد بسبب الأفكار الجديدة التي أتوا بها، والتي خالفت النمط الذي كان سائدا في ذلك الوقت، وهو النمط الذي فرضته الكنيسة، وكان لأفكارهم أثر غير مباشر في ظهور الإلحاد.

ومن المقاربات التي توضح تأثير هذه الأفكار في نشوء الإلحاد الصورة التي رسمها "ولتر ستيس" لكيفية تصور الناس للعالم في تلك المرحلة الزمنية، وعلى وجه الخصوص تصور الكنيسة، حيث لخص هذا التصور في نقاط:

١ – الأرض ثابتة في مركز الكون، وبقية الكواكب والشمس والقمر كلها تدور حول الأرض متخذة شكل الدوائر.

٢– العالم خلق حوالي ٤٠٠٤ ق. م، وذلك بحسب ما استُنبِط من سفر التكوين، وستكون نهاية العالم عام ٤٠٠٤ بعد الميلاد، وذلك حتى تكون حياة المسيح قد وقعت في منتصف التاريخ تماما.

٣– كل شيء في العالم يسير وفق خطة إلهية محكمة، وكل شيء في الكون له هدف وغاية.

٤ – يمثل العالم نظاما أخلاقيا، ومعنى ذلك أن القيم الأخلاقية مطلقة يحددها الإله، وليست نسبية معتمدة على رغبات البشر ومصالحهم.

٥– رجال الكنيسة هم الواسطة بين الإله وبين الناس في قبول التوبة والحصول على الغفران ودخول الجنة، مما أعطاهم القوة والهيمنة(١).

فلما جاءت أفكار أولئك الفلاسفة هدمت جزءا كبيرا من هذه التصورات أو على الأقل زرعت بذور الشك في صحتها، مما أدى بعد ذلك على انهيارها تماما في المجتمع الأوروبي، مع أن العلم إلى هذه اللحظة لم يكن علما إلحاديا، يقول رمسيس عوض: "والجدير بالذكر أن العلم حتى القرن الثامن عشر لم يكن كافرا أو ملحدا أو متشككا في الدين، بل كان لا يزال حليفا له، كل ما فعله العلم في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر أنه استبعد الظواهر فوق الطبيعية من مفهومه للطبيعة التي

(١) الدين والعقل الحديث: ولتر ستيس، ترجمة: إمام عبد الفتاح، ط مكتبة مدبولي (القاهرة) أولى ١٩٩٨م، من مقدمة المترجم (٩-١٣).

أصبحت في نظره تسير وفق نظام دقيق مثل آلة شديدة الدقة والنظام"[١].

وأما في القرن الثامن عشر فقد تغير الحال كثيرا، ويعتبر هذا القرن من أخطر المراحل التي مرت على الفكر الغربي، ولقب هذا القرن بألقاب عديدة، ومنها: عصر الأنوار، عصر النقد، عصر الشك، عصر العقل، القرن الفلسفي، قرن العباقرة، القرن العظيم[٢]، ومن خلال هذه الألقاب يستطيع القارئ أن يستشف معالم هذا القرن، وأنه كان عصر ظهور العديد من الفلسفات النقدية المبنية على النظر العقلي، والتي اتخذت من الشك منطلقا لها في نقد كل شيء، مما أدى إلى ظهور فكر جديد سمي بالفكر التنويري، وظهرت العديد من المذاهب ومن أشهرها: المذهب التأليهي أو الدين الطبيعي، الذي يؤمن بوجود خالق للكون، ولكنهم ينكرون الدين المنزل والموحى به من السماء، ويرون أن الإله خلق الكون ثم لم يتدخل في شيء من أمره، ومن هؤلاء التأليهيين: توماس بين (١٧٣٧-١٨٠٩م) وهو من أشد الناس عداوة للمسيحية، وفرانسوا ماري أرويه (فولتير) (١٦٩٤-١٧٧٨م) وقد كان يؤمن بوجود الله ويهاجم الإلحاد مع وجود إشارات للإلحاد في كلامه، ومونتسكيو (١٦٨٩-١٧٥٥م)، وجان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨م)، وبنيامين فرانكلين (١٧٠٦-١٧٩٠م)[٣].

وظهر العديد من الفلاسفة والعلماء الذين كان لهم الأثر الكبير فيمن بعدهم، من أمثال: إسحاق نيوتن (١٦٤٢-١٧٢٧م)، الذي جاء بالعديد من الاكتشافات ومن أبرزها نظرية الجاذبية، والتي أصبح من خلالها يمكن تفسير حركة الأفلاك والأقمار والنجوم، حتى عدت هذه النظرية مع النظرية الكوبرنيكية والنظرية الداروينية أشهر ثلاث نظريات غيرت عقول أهل الغرب، مع أن نيوتن كان يثبت وجود الله تعالى، وإن كان موقفه من التدبير الإلهي غير واضح تماما[٤].

---

(١) الإلحاد في الغرب: مرجع سابق، (ص١٢٠-١٢١).

(٢) انظر: ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث: سلطان بن عبد الرحمن العميري، ط تكوين للدراسات والأبحاث، (الرياض) ثانية، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م. (١/ ١١٧).

(٣) انظر الإلحاد في الغرب، (ص١١٦ وما بعد)

(٤) انظر: ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، (١/ ١٣٦).

ومن مشاهير هؤلاء أيضا: دافيد هيوم (١٧١١-١٧٧٦م) وقد مهد بفلسفته التشكيكية للإلحاد وإن لم يكن هو ملحدا في نفسه، وإيمانويل كانت (١٧٢٤-١٨٠٤م) الذي ذهب إلى عجز العلم والعقل عن إثبات صحة الدين، وسلك في إثباته مسلكا غريبا، وهو إثباته عن طريق الأخلاق، ويرى أن بناء الأخلاق على الدين خطأ.

ولئن كانت أفكار هؤلاء من أسباب هدم الدين دون أن يقصدوا فقد وجد في زمنهم من قصد إلى هدم الدين من خلال فلسفته، ومن هؤلاء: بول هولباخ (١٧٢٣-١٧٨٩م) الذي أنكر وجود الله تماما، وذهب إلى أن الإنسان إنما يؤمن بوجود الله لأنه لم يفهم الطبيعة.

وأما في القرن التاسع عشر فقد بلغ الأمر ذروته، كما تقول ارمسترونغ: "كان الإلحاد تحديدا على جدول الأعمال بحلول بداية القرن التاسع عشر، كان التقدم في ميدان العلم والتكنولوجيا يخلق روحا جديدة من الاستقلالية والحكم الذاتي مما دفع بالبعض إلى إعلان الاستقلال عن الله. ففي هذا القرن صاغ لودفيغ فيورباخ، وكارل ماركس، وشارلز داروين، ونيتشه، وفرويد، فلسفات وتفسيرات علمية للواقع لا مكان لله فيها"(١).

ومعنى هذا أن القرن التاسع عشر شهد تقدما علميا كبيرا صاحبته نقمة كبيرة على الكنيسة وعلى الدين عموما في أوروبا، وأصبح شغل الفلاسفة البحث عن البديل للدين، وإيجاد تفسيرات جديدة للكون والحياة والظواهر الطبيعية، والإنسان والنفس والمجتمع والتاريخ، تحل محل التفسيرات الدينية لهذه الأمور، فانطلق الفلاسفة والمفكرون يولِّدون الأفكار والنظريات المفسرة لكل شيء، حتى سمي هذا القرن بـ(عصر الصيرورة)، وذلك أن فكرة التغير والصيرورة سيطرت على الفكر الغربي فيه، وصار العلم التجريبي هو الميزان الذي توزن به جميع الأمور، والمنهج الصحيح الذي تبنى عليه جميع المعارف، وإذا كان القرن الثامن عشر هو عصر عبادة العقل، فإن القرن التاسع عشر

---

(١) الله والإنسان على امتداد ٤٠٠٠ سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر: كارين آرمسترونغ، ترجمة: محمد الجورا، دار الحصاد للنشر والتوزيع(دمشق) أولى ١٩٩٦م، (ص٣٤٥).

هو عصر عبادة العلم[١].

وظهر في هذا القرن العديد من الملاحدة الذين أعلنوا إلحادهم دون مواربة، ومن أبرز هؤلاء:

- آرثر شوبنهاور (١٧٨٩-١٨٦٠م) صاحب الفلسفة العدمية التشاؤمية[٢].
- لودفيغ فيورباخ (١٨٠٤-١٨٧٢م)، اشتهر بنقد المسيحية في كتابه: (جوهر المسيحية)، ودعا إلى الإلحاد والليبرالية[٣].
- فريدريش فيلهيلم نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠م) الذي أعلن ولادة الإنسان الخارق الذي سيحل محل الإله! واشتهر بمقولة: لقد مات الإله ونحن الذين قتلناه!! [٤]؟!
- سيغموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩م)، الذي اعتبر أن (الله) مجرد وهم بشري!
- هربرت سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣م)، صاحب نظرية تطور الدين وأن الإله ليس إلا خيال ووهم اخترعه البشر[٥].
- كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م)، صاحب الفلسفة الجدلية المادية، وصاحب الكلمة المشهورة: "الدين أفيون الشعوب"[٦].

وكان هناك عدد من الفلاسفة الذين أتوا بنظريات كانت دافعا كبيرا وعاملا مساندا للإلحاد وإن كانوا هم غير ملاحدة، بل لم يكن من هدفهم بهذه النظريات إنكار وجود الله تعالى أو حتى إلغاء الأديان، ولكن كانت نتائج نظرياتهم في صف تأييد النظريات الإلحادية بشكل كبير وأصبحت إحدى

---

(١) ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، (١/ ١٥٩-١٦٠).

(٢) معجم الفلاسفة: جورج طرابيشي، ط دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت) ثالثة ٢٠٠٦م، (ص٤٠٥).

(٣) المرجع السابق: (ص٤٩٢).

(٤) الموسوعة الفلسفية: لجنة من الأكاديميين السوفييت، (ص٥٥٣).

(٥) قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي: ول ديورانت، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، ط مكتبة المعارف (بيروت) سادسة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م (ص٤٨٢).

(٦) معجم الفلاسفة: جورج طرابيشي، (ص٦١٨-٦١٩).

ركائز الإلحاد فيما بعد، ومن أبرز هؤلاء:

- جورج فيلهلم فريدريش هيجل (١٧٧٠-١٨٣١م)، صاحب ما عرف بنظرية (النقد الهيجلي)، وهي الفلسفة التي صارت فيما بعد أساسا للفلسفة المادية الإلحادية التي نظَّر لها ماركس، مع أن هيجل كان بروتستانتيا متدينا.
- شارلز داروين (١٨٠٩-١٨٨٢م)، وهو صاحب نظرية النشوء والارتقاء التي كانت نقطة تحول في الصراع الديني الإلحادي في أوروبا، وتمسك بها الملاحدة وعظموها، واعتبروها البديل العلمي للتفسير الديني لنشأة الإنسان، ولم يكن داروين في نفسه ملحدا، بل كان يثبت وجود الله تعالى، وكان أقرب إلى اللادينية.

ويلخص جيمس كولينز الوضع في القرن التاسع عشر فيقول: "وقد شهد القرن التاسع عشر مولد مذهب في الإلحاد، مذهب كامل التكوين يرمي إلى استبعاد الله بلا قيد ولا شرط من معتقداتنا المتواضع عليها. وكان من النادر فيما سبق من عصور أن يعتنق الإلحاد علانية مفكرون بارزون، إذ كان ينظر إليه على أنه موقف هدام، أما في خلال الفترة التي أعقبت هيجل فقد اعتنقه جهارا نهارا عدد من زعماء الفكر الذين أضفوا عليه نوعا من التوقير الذهني، بل من التداول الشعبي أيضا، وقد نجحوا في هذا بأن ربطوا بين الإلحاد وبين الاتجاهات الرئيسية في حياتنا العلمية والثقافية والأخلاقية، وبدلا من أن يبقى الإلحاد موقفا سلبيا عقيما أضحى مقوما بناء من مقومات الاتجاه العلمي الإنساني في المجتمع الحديث"(١).

المطلب الثاني: الإلحاد في القرن العشرين.

أما في القرن العشرين فقد أصبح الإلحاد تيارا قويا، وانتمى إليه كثير من المفكرين والفلاسفة والعلماء في شتى التخصصات، وأصبح شيئا معتادا في أوساط المثقفين والأكاديميين، وبرزت العديد من الأسماء من أمثال: آلان تورنغ، وبول ديراك، ولينوس باولنغ، ولعل من أبرز الشخصيات التي تبنت الإلحاد سير أنتوني فلو Sir Antony Flew (١٩٢٣-٢٠١٠م).

---

(١) الله في الفلسفة الحديثة: مرجع سابق، (ص٣٣٨).

يقول الدكتور عمرو شريف في وصف دور أنتوني فلو في جانب الإلحاد: "تزعَّم حركة الإلحاد في العالم لما يزيد عن نصف قرن، فقد ألَّف أكثر من ثلاثين كتابا وبحثا فلسفيا كانت بمثابة جدول أعمال الفكر الإلحادي طوال النصف الثاني من القرن العشرين... يمكن القول – دون أدنى مبالغة – إنه خلال المائة عام الماضية لم يعرض أي فيلسوف من ذوي الوزن الفكر الإلحادي بالأسلوب العميق المنظم كما فعل أنتوني فلو، فقد طرح الرجل حججا جديدة ضد الإيمان بالله تعالى، كما رسم بأفكاره الأصيلة خارطة الطريق للفلاسفة الذين عارضوا الإيمان والتدين طوال النصف الثاني من القرن العشرين"(١).

ولكن الأمر الأهم في القرن العشرين هو قيام ونشوء دول تبنت الإلحاد مذهبا لها، وحاربت الدين بكل شراسة، وظهر ما يعرف بمصطلح (إلحاد الدولة) وهو إعلان الدولة نفسها دولة ملحدة، وهذا شيء لم يعرف في التاريخ من قبل، ومن أبرز هذه الدول التي تبنت الإلحاد ما يعرف بدول المنظومة الاشتراكية أو المعسكر الاشتراكي(٢).

وقد أفرز هذا التيار الجارف أصنافًا متباينة من الناس، حسب موقفهم من القضايا الدينية فمن منكر للوجود الإلهي رأسًا، وآخر يتبني فكرة أن الخالق موجود ولكنه لا يدبر الكون ولا يسيره، ومن قائل إنه لا يدري عن الإله شيئًا ومن ثم فلا يمكن له أن ينفي وجوده أو يثبته، ومن ينادي بفصل الدين عن الحياة مع إمكانية تسليمه بوجود إله.

ويمكن لنا تصنيف أهم المواقف الفكرية الناتجة عن هذا الخبط الفكري فيما يلي:

١ – **الملحد** Atheist: وهو المنكر للدين ولوجود الإله، سواء كان إنكاره هذا إنكارا جازما باستحالة وجود الإله Strong Atheist أو كان وجوده محتملا عنده احتمالا ضعيفا جدا Defacto Atheist.

---

(١) خرافة الإلحاد: عمرو شريف، ط مكتبة الشروق الدولية (القاهرة) أولى ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م، (ص٣١-٣٢).

(٢) الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الثانية ١٩٩٩م (١٣/ ٢٤٩).

٢- **اللاديني** Irreligious: وهو من لا يؤمن بدين وليس بالضرورة أن يكون منكرا للإله، فقد يكون ملحدا وقد يكون ربوبيا وقد يكون لا أدريًا.

٣- **ضد الدين** Antitheist: وهو الملحد الذي يتخذ موقف عدائيا من الإله والدين والمتدينين.

٤- **الربوبي** Diest: وهو الذي يؤمن بأن الرب قد خلق الكون، ولكنه ينكر أن يكون قد أنزل شيئا من الديانات.

٥- **اللا أدري** Agnostic: وهو الذي يؤمن بأن قضايا الألوهية والغيب لا يمكن إثباتها وإقامة الحجة عليها باعتبارها فوق قدرة العقل على الإدراك.

٦- **العلماني** Secularist: وهو الذي يدعو إلى إقامة الحياة على أساس العلم المادي والعقل والمصلحة بعيدا عن الدين، وكثير من العلمانيين هم لا دينيون، خاصة في الغرب.

وهذه الأنواع ليست مراحل في طريق البحث عن الحقيقة، بل هي مواقف نهائية من قضية وجود الله تعالى ومن قضية الدين(١).

وهذا التقسيم هو باعتبار حقيقة ما يعتقده الشخص، وهناك تقسيمات أخرى باعتبار الدوافع والأسباب، وباعتبار أسلوب التعامل مع الآخرين، وأيضا باعتبار الأصول التي يعتمد عليها.

المطلب الثالث: الإلحاد الجديد.

عُرِف مصطلح الإلحاد منذ زمن، إلا أنه مع بداية الألفية الميلادية الثالثة ظهر مصطلح (الإلحاد الجديد new atheism)، وينسب إطلاق هذا اللقب إلى الصحفي الأمريكي جيري وولف في مقالة نشرها عام ٢٠٠٦م في مجلة (وايرد Wired) البريطانية، وكانت بعنوان: "كنيسة اللامؤمنين The church of non-believers"(٢).

ويختلف هذا النوع من الإلحاد عن الإلحاد المعروف أو ما يمكن تسميته بالإلحاد الكلاسيكي،

---

(١) انظر: خرافة الإلحاد: عمرو شريف، مرجع سابق، (ص٢٧-٢٨) الإلحاد للمبتدئين، دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد: هشام عزمي، ط دار الكاتب للنشر والتوزيع ثانية، ٢٠١٥م، (ص١٨-١٩).

(2) https: //www. wired. com/2006/11/atheism/

فالإلحاد الســـابق كان يرفض الدين وينكر وجود الله تعالى ويتجاوز الأمر، لكن الإلحاد الجديد لا يتجاوز الأمر، بل يجعل الدين هدفا للنقد والهجوم المســـتمر، ويعتبر أن الدين هو مصـــدر الشـــر في العالم، ولهذا يدعو إلى عدم التســـامح مع الدين وعدم القبول بوجوده، ولا بد من إزالته من الوجود، فهو تيار عدائي مهاجم، مما دعا البعض إلى تســـميته بـــــ(الإلحاد المســـلح)، (الإلحاد المتطرف)، (الإلحاد المناضـــل)، (الأصـــولية الإلحادية)[١]، وإن كان لا يختلف عن الإلحاد الكلاســـيكي إذا جاز التعبير في المضمون والقضايا[٢]، ويقصر عنه في عمق المعالجات الفكرية.

ويمكن التأريخ لبداية تشـــكل ظاهرة الإلحاد الجديد بالعام ٢٠٠٤م حين أصـــدر ســـام هاريس كتابه الأول (نهاية الإيمان: الدين والإرهاب ومستقبل العقل) عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وقد حظي الكتاب بمبيعات ضخمة حيث ظل في قائمة النيويورك تايمز للكتب الأفضل مبيعا على مدى ٣٣ أسبوعا متتالية. وقد تبع كتاب هاريس بعام واحد صدور كتاب الفيلسوف الفرنسي ميشيل أونفري بعنوان: (بيان الملحد: قضـــية ضـــد المســـيحية واليهودية والإســـلام)، قبل أن يظهر في ٢٠٠٦م الكتاب الأشهر (وهم الإله) لريتشاد دوكنز.

وقد اتخذت هذه الحركة مســـلكا عنيفا وهجوميا في مواجهة الدين، ويبررون هذا بالعنف الذي تســـببت به الأديان، والصـــراع الذي أحدثته في العالم، وأنه لا بد من إيقافها حتى لا تدمر العالم، وعلى وجه الخصوص الإسلام الذي يتهمونه بأنه أشد الأديان عنفا وتحريضا على القتل والدمار، ويحتجون بحادثة ١١ سبتمبر التي كانت نقطة تحول كبيرة على حد زعمهم.

---

(١) ينظر: ليطمئن عقلي، الإيمان من جديد بمواجهة الإلحاد الجديد: أحمد خيري العمري، دار عصـــير الكتب للنشـــر والتوزيع، (القاهرة) أولى ٢٠١٩م (ص٢١).

(٢) - راجع مليشـــيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبدالله بن صـــالح العجيري، ط تكوين للدراســـات والأبحاث، ثانية ١٤٣٥هـــ- ٢٠١٤م، ص ١٧ وكذلك خرافة الإلحاد: عمرو شريف، ط دار الشروق (القاهرة) أولي ٢٠١٤م، ص ٣٠ – ٣١. وكذلك وهم الإلحاد: عمرو شـــريف، تقديم د/ محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر شـــهر المحرم عام ١٤٣٥هـ، ص ٢٩.

فنجد على سـبيل المثال أن سـام هارس وهو أحد فرسـان الإلحاد الجديد يصـرح بأن تأليفه لكتاب: (نهاية الإيمان) كان بسـبب أحداث ١١ سـبتمبر، بل يقول بأنه ابتدأ تأليف الكتاب يوم ١٢ أو ١٣/ ٩/ ٢٠٠١م أي بعد الحادثة بيوم أو يومين، وقد صرح بأن هذه الحادثة هي أحد دوافعه للإلحاد[١].

ومثله ريتشـارد دوكنز، يصـرح بأن هذه الحادثة هي أحد أسـباب توجهه إلى الإلحاد، فيقول: "يتسـاءل الكثيرون كيف غيرتك أحداث الحادي عشـر من سـبتمبر؟ إليكم كيف غيرتني: لنتوقف جميعا عن هذا التصـنع المقيت في إبداء الاحترام - يعني للأديان-". بل إنه بعد أربعة أيام فقط من حادثة ١١ سـبتمبر كتب مقالة عن الحادثة في (الجارديان) البريطانية يقول في آخرها: "إن ملء عالم بالدين أو بأديان كالأديان الإبراهيمية هو تماما كملئ الشوارع بالمسدسات المحشوة بالرصاص، لا تتعجب إذا ما تم استعمالها"[٢].

ويقول دوكينز في مقدمة كتابه (وهم الإله): "في كانون الثاني ٢٠٠٦ قدمت برنامجا وثائقيا على التلفزيون البريطاني، القناة الرابعة، بعنوان: بذرة الشـر، بادئ ذي بدء لم يعجبني العنوان، فالدين ليس أصـل كل الشـرور.. ولكنني سـررت بالإعلان الذي وضـعته القناة الرابعة على الجريدة الوطنية، وهي عبارة عن صـورة لأفق مدينة منهاتن وبعنوان: (تخيل العالم بدون دين)، وما هي صـلة الوصـل هنا؟ البرجان كانا على الصورة.

- جون لينون (مغني له أغنية اسـمها تخيل).. تخيل عالما بدون دين، لا انتحاريين، لا حملات صليبية، لا مؤامرة بارود، لا تقسيم للهند، لا حرب فلسطينية إسرائيلية، لا مذابح صرب - كروات - إسلام، لا اضطهاد لليهود كونهم قتلة المسيح، لا مشاكل في شمال إيرلندا، لا جرائم شرف، لا إنجيلي

---

(١) مقطع على اليوتيوب بعنوان: سام هارس، رحلة إلى الإلحاد انطلقت شرارتها بسبب ١١/ ٩:
https: //www. youtube. com/watch?v=EEzGekC1044
- انظر نهاية الإيمان: سام هاريس، ترجمة محمد سام العراقي، ط ثانية ٢٠٠٥م، نسخة الكترونية، ص ١٠ - ١١

(٢) انظر ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، الناشر: تكوين للدراسات والبحوث، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م (ص٢٢).

بهندام لامع على التلفزيون الأمريكي يجز أموال السذج، تخيل أنه لا وجود لطالبان ليفجروا تماثيل أثرية، لا قطع للرؤوس بشكل علني، ولا سوط على جلد أنثى لأنّ أحدا رأى بوصة منه"[١].

وهذا التبرير لا يستند إلى حقيقة علمية أو واقعية، إلا أن هذه النغمة قد وجدت صداها وتقبلها الكثير من المخدوعين، حتى صارت فكرة أن الأديان هي محور الشر وأن التخلص من الشرور في العالم مرتهن بالتخلص من الأديان صارت هي الفكرة الأبرز والأكثر حضورا في خطاب الملاحدة الجدد.

أبرز المنظرين لهذا الإلحاد (الجديد):

ظهر لهذا الإلحاد الجديد عدد من المنظرين، أبرزهم:

١- **كلينتون ريتشارد دوكينز**: بريطاني ولد في ٢٦ مارس ١٩٤١م في نيروبي عاصمة كينيا، ونشأ نشأة مسيحية، ولكنه بعد ذلك تركها متأثرا بنظرية التطور وأنها تحتوي على تفسير لنشأة الكون أفضل من التفسير الديني، وتخصص في علم سلوك الحيوان وعلم الأحياء التطوري، وصار من أشهر دعاة الإلحاد الجديد بعد أحداث ١١ سبتمبر، ويلخص الدكتور عمرو شريف فكر دوكينز فيقول: "يقوم مذهب دوكينز الفلسفي على ثلاث دعائم: (التعارض) بين الإله وبين قوانين الطبيعة، ومن ثم ينبغي أن نختار أحدهما كمنشئ للكون والكائنات. والدعامة الثانية: (المماثلة) فدوكينز ينظر إلى الإله باعتباره سوبر مان عليه أن يسلك مثل البشر، لذلك يحاسبه دوكينز حسابا عسيرا إذا سلك على غير ما يتوقع، وأخيرا: (الاحتمالية) واعتمادا عليها يبني دوكينز الكون والحياة بالعشوائية والصدفة، وبنفس الدعامة الاحتمالية يستبعد دوكينز أن يكون الإله قد قام بعملية الخلق"[٢].

وفي عام ٢٠٠٦م أسس مؤسسة سماها: (مؤسسة ريتشارد دوكينز للمنطق والعلوم)، وله العديد من الكتب وأهمها:

- (وهم الإله The God Delusion)، صدر عام ٢٠٠٦م، وأصبح واحدا من أكثر الكتب

---

(١) وهم الإله: ريتشارد دوكينز، ترجمة: بسام البغدادي، إصدار تجريبي ٢٠٠٩م (ص٤). الحوار المتمدن-العدد: ٢٨٧٨.

(٢) خرافة الإلحاد: مرجع سابق، (ص٣٥٥).

العالمية مبيعا، حتى بيع منه أكثر ٣ ملايين نسخة، وترجم إلى ٣٠ لغة، وواضح من عنوان الكتاب أن موضوعه التشكيك في وجود الإله

- (الجين الأناني The Selfish Gene)، وهو كتاب عن قضية التطور، ويعتبره البعض مكملا لبحث داروين حول موضوع التطور، وقد ترجم إلى أكثر من ٢٥ لغة وبيع منه ملايين النسخ.
- (صانع الساعات الأعمى The Blind Watchmaker)، وهو أيضا عن قضية التطور، وناقش فيه الانتقادات التي وجهت لكتابه السابق (الجين الأناني)

ويعتبر دوكينز أيقونة الإلحاد الجديد وأهم رموزه، ومع ذلك فإنه قد تعرض لنقد شديد من عدد من الملاحدة فضلا عن غيرهم، ومن أمثلة هذا النقد:

يقول الفيلسوف الملحد مايكل روس: "لقد جعلني كتاب وهم الإله أشعر بتوتر وارتباك لكوني ملحدا، فالكتاب الذي يعالج في المقام الأول قضية الأخلاق يتبنى حملة صليبية لا أخلاقية تتسم بالتكبر والعجرفة، فدوكنز لا يتحدث كفيلسوف يعالج الأدلة ليصل إلى استنتاجات منطقية، لكن كواعظ أصولي يرسم طريق الخلاص ويهدد بالطرد من الرحمة" ثم يطرح سؤالا: "إذا كان الإله غير موجود فلم هذا التطرف الشديد ضد الدين؟! ".

ويقول الفيلسوف الملحد توماس ناجل: "يهدف دوكنز في كتابه إلى إنكار أن الدين هو مصدر آداب السلوك التي تسود الحضارة المعاصرة، وقد أخذ يكرر هذا الإنكار بطريقة كريهة ومقرفة قدر استطاعته".

ويقول عالم الوراثة التطوري ألين أور: "بالرغم من إعجابي السابق بنشاط دوكنز إلا أنه قد آن الأوان لنفترق، إن كتابه: (وهم الإله) سيء للغاية، وبالرغم من أنني وصفت دوكنز قبلا بأنه ملحد محترف، فإنني بعد قراءة كتابه الأخير أجزم أنه مجرد ملحد هاو، فإنه لم يقدم في الكتاب أي نقد موضوعي للدين بالرغم من إنفاقه مئات الصفحات في الهجوم على الإله"(١).

٢- **دانيال دينيت**: أمريكي ولد في ٢٨ مارس ١٩٤٢م، وهو فيلسوف وكاتب ومتخصص في فلسفة

---

(١) عمرو شريف، خرافة الإلحاد، (ص٣٢٠-٣٢١).

العقل والعلوم وعلم الأحياء

وله العديد من الكتب، ومن أهمها:

-فكرة داروين الخطيرة (Darwin's Dangerous Idea)، صدر عام ١٩٩٥م، وأراد من خلاله بيان آثار نظرية داروين على مختلف المجالات في محاولة للفت الأنظار إليها مجددا، وإعادة إحياء الاهتمام والاعتناء بها.

-إبطال السحر: الدين كظاهرة طبيعية

(Breaking the Spell: Religion as a Natural Phenomenon) ، صدر عام ٢٠٠٦م، يتحدث عن أصل الدين وكيفية تطوره عبر تطبيق نظريات التطور.

<u>وخلاصة آرائه في التالي:</u>

- يمكن إرجاع كل سمة من سمات العالم إلى آلة ميكانيكية عمياء لا غاية لها ولا بصيرة.
- لا ينبغي أن يشارك الإيمانُ العقلَ كمصدر للمعرفة، حتى في قضايا الغيب.
- إن فكرة وجود الإله المتشخص فكرة طفولية غير منطقية.
- الأدلة التقليدية على الألوهية (دليل الحدوث، التصميم..) غير صحيحة، ومن ثم ينبغي على من يدعي وجود الإله أن يقدم دليلا حسيا عمليا[(١)].

٣- **كريستوفر هيتشنز**: بريطاني أمريكي ولد في ١٣ أبريل ١٩٤٩م، وتوفي في ١٥ ديسمبر ٢٠١١م، وهو صحفي وناقد أدبي، كان يساريا ثم انتقل إلى الإلحاد التام، وأصبح من أبواق الدعوة إليه، وصار له العديد من المتابعين والمناصرين بسبب أسلوبه الناقد الساخر، ومن أشهر مؤلفاته:

- الإله ليس عظيمًا: كيف يسمم الدين كل شيء

(God Is Not Great: How Religion Poisons Everything)، صدر عام ٢٠٠٧م، وهو أشهر كتب هتشنز التي تتعلق بالإلحاد، وقد شن في هذا الكتاب هجوما كبيرا على

(١) المرجع السابق، (ص٣٦٦).

الأديان، وبالخصوص الأديان الإبراهيمية وكتبها، واعتبرها سببا للشرور والدمار في التاريخ.

- الملحد المحمول: قراءات ضروريّة لغير المؤمنين

(The Portable Atheist: Essential Readings for the Non-Believer)

ناقش فيه قضية الإلحاد والدين، وذكر جانبا تاريخيا للإلحاد مع شيء من حججه، وهاجم الدين بشكل عام.

٤- **سام هاريس**: أمريكي ولد في ٩ أبريل ١٩٦٧م، لأم يهودية وأب مسيحي، وهو متخصص في علم الأعصاب، وعرف بهجومه العنيف على الدين، ودعوته إلى إبادة المسلمين جميعا!!

وله العديد من الكتب، ومن أهمها:

- نهاية الإيمان، الدين والإرهاب ومستقبل المنطق

(The End of Faith: Religion ،Terror ،and the Future of Reason)

صــدر عام ٢٠٠٤م، وتصــدر قائمة أكثر الكتب مبيعا لمدة ٣٣ أســبوعا، وقد ألفه إثر هجمات ١١ سبتمبر، وحمَّل الإسلام خصوصا مسئولية أعمال العنف والقتل.

- رســالة إلى أمة مســيحية (Letter to a Christian Nation)، وقد رد فيه على انتقادات وجهت لكتابه السابق (نهاية الإيمان).

٥- **ستيفن ويليام هوكينج**: بريطاني ولد في ٨ يناير ١٩٤٢م وتوفي في ١٤ مارس ٢٠١٨م، ويعد من أبرز علماء الفيزياء النظرية وعلم الكون على مستوى العالم، وقد عانى في شبابه من مرض يعرف باسم مرض العصبون الحركي، وتسبب هذا المرض في شلله على مدى عقود حتى فقد القدرة على الحركة بل حتى الكلام، ولكنه استطاع أن يتغلب على هذه العوائق ويصبح من أبرز علماء الفيزياء.

وله العديد من الكتب ومن أبرزها:

- (تاريخ موجز للزمن: من نظرية الانفجار العظيم إلى الثقوب السوداء

(A Breif History Of Time: from the big bang to black holes

صــدر عام ١٩٨٨م، وكان الهدف منه تعريف غير المتخصـصــين بالنظريات العلمية الفيزيائية

المتعلقة بالكون، وخلال ٢٠ عاما بيع منه أكثر من ١٠ مليون نسخة، وترجم إلى ٣٥ لغة.

وقد ذكر في هذا الكتاب أن الأحداث التي صاحبت وأعقبت الانفجار الكوني الأعظم كانت تخرق قوانين وثوابت الفيزياء، مما احتاج إلى التدخل الإلهي، ثم في أواخر حياته أنكر قضية التدخل الإلهي بل أنكر وجود الإله من الأساس.

- (التصميم العظيم The Grand Design) ألفه بالاشتراك مع ليوناردو ملودينو، وصدر عام ٢٠١٠م، ويتناول حججا تدعم فكرة أن وجود الإله غير ضروري لتفسير نشأة الكون، وأن الانفجار العظيم ما هو إلا نتيجة لقوانين علم الفيزياء وحدها، وهذا بخلاف ما قد كان قرره في كتابه السابق (تاريخ موجز للزمن)

والأربعة الأوائل عرفوا بلقب (الفرسان الأربعة)، أخذا من رواية إنجيلية تتحدث عن (فرسان رؤيا يوحنا الأربعة) وهم فرسان الحروب والصراعات، في إشارة إلى أن هؤلاء هم حملة راية الإلحاد في حربه ضد الدين، وإنما أطلق عليهم دون غيرهم لكونهم أبرز المنظرين والمنافحين عن الإلحاد الجديد، وبرزوا من خلال كتاباتهم ولقاءاتهم وبرامجهم التلفزيونية، وصار لهم زخم إعلامي كبير، وقد اجتمع هؤلاء الأربعة في ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٧م في مقر إقامة كريستوفر هيتشنز، وتم تصوير اللقاء الذي استمر لمدة ساعتين.

عوامل نشأة الإلحاد الجديد:

المتتبع لحركة ونتاج الملحدين (الجدد) يمكنه من رصد أهم العوامل التي أفرزت هذا الإلحاد وشجعت المنظرين له على خوض غمار هذه المجادلات والصدامات العنيفة مع المتدينين، لعل من أبرزها:

١ - العامل السياسي:

لا يخفي على متدبر ارتباط هذه الدعوات الإلحادية، بهدف سياسي واضح ينطوي تحت استراتيجية الاحتواء الحضاري التي يقوم بها الغرب منذ فترة طويلة، ويسعي من خلالها إلى فرض النموذج الغربي باعتباره آخر طور من أطوار الانتقالات الحضارية بين الشرق والغرب، وآخر حلقة

من حلقات التناوب على قيادة البشـــرية، ولذلك يحاولون بكل الطرق تغيير الإســـلام أو تحييده حتي يضمنوا بقاء حضارتهم إلى الأبد، وإذا لم يستطيعوا ذلك فلا عليهم أن ينشروا الإلحاد بين المسلمين حتي يغيب المســـلم عن هذا التميز الحضـــاري الإســـلامي ويزهد فيه، ومما يدل على ذلك قول ســـام هاريس: "إننا في حالة حرب مع الإسلام، لا تستطيع أن تخدم أهداف السياسة الخارجية - يعني أنه لا هوادة في هذه الحرب حتي لو تعارضت مع سياسات بلاده الخارجية – لقادتنا السياسيين؛ نعترف علنًا بهذه الحقيقة ليســـت مجرد أننا في حالة حرب مع دين ســـلمي تم اختطافه من قبل المتطرفين، نحن بالضـبط في حالة حرب مع رؤية الإســلام للحياة على وجه التحديد التي وصـفت لجميع المســلمين في القرآن وبمزيد من التفصيل في الأحاديث التي تروي أقوال وأفعال نبيهم.

إن المســـتقبل الذي لا يقف فيه معظم الإســـلام والغرب على حافة الإبادة المتبادلة هو مســـتقبل يجب أن يتعلم فيه معظم المســلمين تجاهل معظم شـريعتهم تمامًا كما تعلم معظم المســيحيين ذلك؛ وهذا التحول ليس مضمونـًا نظراً لتعاليم الإسلام"(١).

٢- العامل النفسي:

يعتبر العمل النفســي للغربيين ومن تأثر بهم عاملاً مهمـًا في اعتناق الإلحاد والحماســة في الدعوة إليه، فحالة عدم الاتزان النفســـي التي يعـاني منهـا الغربيون ومن لف لفهـم جعلتهم عرضـــة لِلَوثـات الإلحاد، وقد حاول بول فيتز في كتابه (نفسـية الإلحاد، إيمان فاقد الأب The Psychology of Atheism: faith of the fatherless)، تتبع هذا العامل النفسي في نشأة الإلحاد حيث وضع بول في كتابه هذا فرضية لتفسير وقوع الشخص في الإلحاد، وخلاصة هذه الفرضية: أن هناك علاقة بين حالة الإلحاد وبين حالة العلاقة مع الأب، فإذا كانت هناك مشكلة في هذه العلاقة سواء بموت الوالد أو سـوء معاملته أو وجود مشـكلة في شـخصيته فإن هذا قد يكون أحد أسباب الاتجاه للإلحاد، وقد سـرد أسماء الكثير من الملاحدة ممن تتحقق فيهم هذه الفرضية، ومن هؤلاء ثلاثة من (الفرسان الأربعة):

١ – ريتشـــارد دوكينز: عـاش فترة طويلـة بعيـدا عن والـديه، وذلـك لأنـه التحق بمـدرســـة (اونـدل

---

(١) – نهاية الإيمان: سام هاريس، مرجع سابق، ص ١٠٧.

Oundle)، وهي مدرسة انجليزية داخلية مرتبطة بكنيسة إنجلترا، وخلال فترة دراسته تعرض لحادثة اعتداء جنسي من قبل أحد الأساتذة اللاتينيين الشواذ المرتبطين بالكنيسة الأنجليكانية، علاوة على أنه وقبل أن يتحول إلى نظرية التطور أبدى كرهه للحضور الإلزامي في مصلى المدرسة الداخلية، وأن هذا يسبب له أذى، بمعنى أنه قد تشكلت لديه ردة فعل عاطفية سلبية تجاه الدين.

٢- دانيال دانيت: عندما كان في الخامسة من عمره مات والده وهو في مهمة في الشرق الأوسط في حادث طائرة غير مفسر، ويكتب دانيال في مذكراته كيف أن أصدقاءه كانوا يعانون من أجل أن يستحقوا انتباه آبائهم، ويقول: "أرتجف بالتفكير لما كان يمكن أن يحدث لي لو كان على العيش طبقا لتوقعات والدي الفعلية"، ويستغرب فيتز هذه العبارة، ويقول: "إذا تحدثنا نفسيا فيمكنني اعتبار رده تبريرا وتصرفا إنكاريا".

٣- كريستوفر هيتشينز: كان والده ضابطا في البحرية البريطانية، ويشير هيتشنز إلى والده بـ(القائد)، ويذكر أنه كان هادئا كثيرا ونادرا ما يتكلم، وقد عاش كريستوفر من الثامنة إلى الثامنة عشرة بعيدا عن أسرته في مدرسة داخلية، ولهذا يصرح بأنه ليس له العديد من الذكريات مع والده، وكان والده يقدر المهارة الرياضية كثيرا، لكن كريستوفر لم يكن يمتلك أي مهارة رياضية، وفي آخر سنواته عمل والده في الحسابات لبعض المنظمات الصغيرة بعد أن أعفته البحرية من الخدمة، وكانت علاقة كريستوفر بأمه أقوى في الوقت الذي كانت أمه قد ضجرت من الحياة مع والده، فعقدت علاقة غرامية مع كاهن إنجليكاني سابق، وفي آخر الأمر وُجدت والدته ورفيقها ميتين في فندق في أثينا، وإحدى الروايات تشير إلى أن رفيقها قتلها، وقيل: بل تعاهدا سويا على الانتحار، ويبدو أن كريتسوفر صار ينظر لهذا الكاهن على أنه السبب الرئيس لانتحار والدته[١].

أما بالنسبة لسام هاريس فإن فيتز يعتبره (استثناء محتمل)، وبغض عن مدى صوابية فرضية فيتز إلا أنه من الواضح أن أحوال هذه الشخصيات وما مرت به من ظروف حياتية تفسر كثيرا من حالة

---

(١)، نفسية الإلحاد، إيمان فاقد الأب: بول سي فيتز ترجمة مركز دلائل، مركز دلائل(الرياض) ثانية: ٢٠١٣م (ص١١٥-١٢٣).

العدائية الشديدة للدين، وتحميله كافة أنواع الشرور الدنيوية.

وليس ستيفن هوكينج حالة بعيدة عن رفقائه في طريق الإلحاد، فإن مشاكله الصحية التي عاني منها على مدى عقود من حياته لا شك أنها تركت في نفسه أثرا سيئا، خاصة وأن مشكلة الشر والألم هي أحد أهم أسباب انتحال الإلحاد والميل إليه.

ومن الجدير بالذكر أن الإلحاد ظاهرة معقدة لا يمكن ردها لعامل أو عاملين، بل تتشابك فيها كل ما يمكن تخيله من عوامل ومحفزات، تنبئ في الأخير عن انحراف عن التصور الصحيح عن الكون والحياة، وصور مشوهة عن الأديان، تنطبع في ذهن الملحد، وتترسخ من خلال سلوك المتدينين.

الخاتمة والنتائج والتوصيات

بعد هذا السرد التاريخي للإلحاد، ندرك أثر الخصوصية الدلالية في فهم المصطلحات وتتبع الفكر الذي يحتويه المصطلح ويعبر عنه، فقد اختلف مضمون مصطلح الإلحاد من حضارة إلى حضارة أخري؛ فبينما تعتبر بعض الحضارات الإلحاد بمعني الاعتراض على الآلهة المزيفة، والخروج عن تقاليد المعابد والنظام الطبقي الجائر، اعتبرته بعض الحضارات أداة للنقد الديني والثورة على الظلم الاجتماعي، بينما قام في الحضارة الإسلامية بمعني إنكار النبوة وبعض العقائد الإسلامية الأخرى، وتميز استعماله في الحضارة الغربية بمزيد من التحديد فقد صار يدل على إنكار وجود إله، دون غيره من مظاهر الخروج عن الشرائع ومقتضياتها، ومن هنا ندرك أن تعمد الملاحدة سرد تاريخ للإلحاد والزعم بأنه ظاهرة صاحبت الدين، ومثلت اختياراً وجوديًا معه، زعم باطل ليس له ما يدعمه من التاريخ الصادق، والتفسير المستقيم للأحداث والوقائع التاريخية، مما يحرم الملاحدة من برهان أثير ودعاية فارغة مضمونها (لست وحدك من ألحدت، ولكن سبقك أعلام وعلماء أفذاذ).

أهم النتائج:

١- يختلف معني مصطلح (الإلحاد وتصريفاته) من حضارة لأخري حسب العرف اللغوي الشائع.

٢- لا وجود لملاحدة بالمعني المعاصر - إنكار وجود الإله رأسًا - في التاريخ الإنساني، بل وجد ملاحدة لم يفهموا معاني الألوهية الحقة، أو ثاروا على النبوة، وما تستلزمه من الإيمان بالوحي والسمعيات.

٣- خطورة الغفلة عن هذا الاختلاف المصطلحي، مما يدعم مذاهب المتطرفين دينيا أو لا دينيًا.

٤- تبرز وراء ازدهار الدعاية الإلحادية مجموعة من العوامل قد تتشابه، وقد تختلف بين الأمم التي ظهر فيها ما يسمي بالإلحاد - على اختلاف مضمونه بينهم -.

أهم التوصيات:

١- تشجيع الدراسات التي تناقش اختلاف مضامين المصطلحات واستعمالاتها بين الحضارات والأديان.

٢- ضرورة نفي مبررات الإلحاد، وتقويض أسس دعايته بتوضيح الحقائق، وكشف الشبهات.

المصادر والمراجع

١. **الإبانة عن أصول الديانة:** أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري تحقيق: د. فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

٢. **أبو العلاء وما إليه:** عبدالعزيز الميمني الراجكوتي الهندي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٣. إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، ط دار الندوة الجديدة (بيروت) ج ٤

٤. **أعلام النبوة**: **لأبي حاتم الرازي**، تقديم جورج طرابيشي، ط. دار الساقي، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، جنيف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٥. **الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها:** عبدالرحمن عبدالخالق، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٦. **الإلحاد تعليل فلسفي:** مايكل مارتن، ترجمة: لؤي عشري نسخة الكترونية.

٧. **الإلحاد في الغرب**: رمسيس عوض، مينا للنشر- القاهرة، الانتشار العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٨. **الإلحاد للمبتدئين**، **دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد**: هشام عزمي، دار الكاتب للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م.

٩. **الإلحاد مشكلة نفسية:** عمرو شريف، راجعه وقدم له: أحمد عكاشة، نيو بوك للنشر والتوزيع- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

١٠. **الإلحاد وأسبابه**، **الصحة السوداء للكنيسة**: زينب عبدالعزيز، دار الكتاب العربي، دمشق- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

١١. **الإنسان في ظل الأديان:** عمارة نجيب، ط مكتبة المعارف (الرياض)

١٢. **الإنسان والأديان** – دراسة مقارنة: محمد كمال جعفر، ط دار الثقافة (الدوحة – قطر) أولي ١٩٨٥م.

١٣. **البداية والنهاية**: إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

١٤. التعريفات: الجرجاني، ط دار إحياء التراث العربي (بيروت) أولي ٢٠٠٣م

١٥. **التفسير الكبير**: محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠هـ.

١٦. **تهافت الفلاسفة**: الغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف- مصر، الطبعة الرابعة.

١٧. **جامع البيان في تأويل القرآن**: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

١٨. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٩. حرية الفكر: ج. بيور، ترجمة: محمد عبد العزيز إسحاق، تقديم: إمام عبد الفتاح إمام، ط المركز القومي للترجمة (القاهرة) ٢٠١٠م

٢٠. حوار مع الملحدين في التراث: عصام محفوظ، ط دار الفارابي (بيروت) أولي ٢٠٠٤م

٢١. **خرافة الإلحاد**: **عمرو شريف**، مكتبة الشروق الدولية- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

٢٢. **دروس في الفلسفة**: يوسف كرم، إبراهيم مدكور، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع- القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.

٢٣. **ديموقريطس فيلسوف الذرة وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة**: على سامي النشار، الهيئة المصرية العامة للكتاب- الإسكندرية.

٢٤. **الدين والعقل الحديث**: **ولتر ستيس**، ترجمة: إمام عبدالفتاح، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٢٥. **زاد المسير في علم التفسير**: أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ.

٢٦. **السرطان الأحمر**: **عبدالله عزام**، مكتبة الأقصى – عمان، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٢٧. **سير أعلام النبلاء**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٢٨. **الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي**: أنور الجندي، موسوعة شاملة لشبهات الأدب والثقافة والتاريخ والسياسة والاجتماع وتراجم الأعلام والمؤلفات، دار الاعتصام.

٢٩. **شد الأزار في حط الأوزار عن زوار المزار**: الجنيد بن محمود بن محمد الشيرازي، تحقيق: محمد القزويني، وعباس إقبال، مطبعة المجلس – طهران، تاريخ الطبع: ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م.

٣٠. شرح النووي على مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار الكتب العلمية (بيروت)

٣١. **الشريعة**: محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ، تحقيق: د/ عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن – الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٣٢. **الشيوعية**: محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٣٣. **ضحى الإسلام**: أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة.

٣٤. **طبقات الشافعية الكبرى**: عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٣٥. **طبقات الشافعية**: عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٣٦. **ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث**: سلطان بن عبدالرحمن العميري، تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الثانية، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

٣٧. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أحمد بن على بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٨. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**: على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي – القاهرة.

٣٩. **فلاسفة اليونان**: جعفر آل ياسين، العصر الأول، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧١م.

٤٠. **الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون**: عزت قرني، جامعة الكويت، ١٩٩٣م.

٤١. **القاموس المحيط**: محمد بن يعقوب الفيروزآبادى تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٤٢. **قصة الفلسفة اليونانية**: أحمد أمين، زكي نجيب محمود، مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٣٥م.

٤٣. **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي**،: ول ديورانت ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف- بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.

٤٤. **القوانين**: أفلاطون، ترجمه من اليونانية للإنجليزية: تيلور، وترجمه إلى العربية: محمد حسن ظاظا، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

٤٥. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: محمود بن عمرو الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٠٧هـ.

٤٦. **الكيد الأحمر، دراسة واعية للشيوعية وجذورها وأفكارها وخرافة حتمياتها وأحلام وعودها الكاذبة**: عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٤٧. **لسان العرب**: محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقى، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤هـ.

٤٨. **الله في الفلسفة الحديثة**: جيمس كولينز، ترجمة: فؤاد كامل، دار قباء للطباعة والنشر- القاهرة، ١٩٩٨م.

٤٩. **الله والإنسان على امتداد ٤٠٠٠ سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر**: كارين آرمسترونغ، ترجمة: محمد الجورا، دار الحصاد للنشر والتوزيع- دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٥٠. **ليطمئن عقلي، الإيمان من جديد بمواجهة الإلحاد الجديد**: أحمد خيري العمري، عصير الكتب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٩م.

٥١. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ.

٥٢. **مدخل إلى البوذية**: كونراد مايزيغ، ترجمة: المطران كيرلس سليم بسترس، ط. المكتبة البوليسية (بيروت) أولي ٢٠١٠م

٥٣. **مذاهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود، ومعه فلسفة محمد بن زكريا الرازي**: س. بينيس، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.

٥٤. **مذاهب فكرية معاصرة**: محمد بن قطب بن إبراهيم، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٥٥. **المذهب الدهري عند العرب**: حسني يوسف الأطير، ط دار البيان (القاهرة) أولي، ١٩٨٤م

٥٦. **مسعي البشرية الأزلي إلى الله** – الله لماذا؟: كارين أرمسترونج، ترجمة فاطمة نصر – هبة محمود عارف، ط دار سطور (القاهرة) أولي ٢٠١٠م

٥٧. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**: **مسلم بن الحجاج القشيري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٨. **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**: عياض بن موسى اليحصبي السبتي، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٥٩. **مصر وإعادة البناء الحضاري**: مصطفي النشار، ط. دار روابط للنشر وتقنية المعلومات (القاهرة)

٦٠. **مع الفلسفة اليونانية**: محمد عبدالرحمن مرحبا، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

٦١. **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)**: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م.

٦٢. **معجم الفلاسفة**: **جورج طرابيشي**، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م.

٦٣. **المعجم الفلسفي**: **جميل صليبا**، الشركة العالمية للكتاب – بيروت، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٦٤. **معجم مقاييس اللغة**،: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٦٥. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**: على بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٦٦. **الملل والنحل**: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.

٦٧. **من تاريخ الإلحاد في الإسلام**: عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

٦٨. **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**: عبد الرحمن بن على الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٦٩. **المنقذ من الضلال**: الغزالي، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر.

٧٠. **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الثانية ١٩٩٩م..

٧١. **الموسوعة الفلسفية**: لجنة من الأكاديميين السوفييت، إشراف: روزنتال، يودين، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت.

٧٢. **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**: محمد بن على التهانوي، تحقيق: د. على دحروج، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م.

٧٣. **موسوعة لالاند الفلسفية**: أندريه لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات- بيروت، باريس، الطبعة الثانية ٢٠٠١م.

٧٤. **ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد**: عبدالله بن صالح العجيري، تكوين للدراسات والبحوث، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

٧٥. **نفسية الإلحاد**: إيمان فاقد الأب: **بول سي فيتز**، ترجمة: مركز دلائل، مركز دلائل، الطبعة الثانية: ٢٠١٣م.

٧٦. **نهاية الإقدام في علم الكلام**: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤٢٥هـ.

٧٧. **النهاية في غريب الحديث والأثر**: ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٧٨. **الوسائل الدعوية بين الثبات والتطور**: سالم محمد أبو الفتح البيانوني، ط دار اقرأ للنشر والتوزيع (الكويت) ٢٠٠٦م

٧٩. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٠٠-١٩٩٤م.

٨٠. **وهم الإلحاد**: عمرو شريف، مجلة الأزهر، هدية المحرم ١٤٣٥هـ- ٢٠١٣م.

٨١. **وهم الإله**: **ريتشارد دوكينز**، ترجمة: بسام البغدادي، إصدار تجريبي ٢٠٠٩م.

82. Atheism ،A philosophical Justification: Michael Martin ،temple university press ،Philadelphi. usa

الفهرس

الملخص ١٧٧
المقدمـــة.......... ١٧٩
التمهيد ١٨١
تعريف التطور ١٨١
تعريف الإلحاد ١٨٢
المبحث الأول: الإلحاد القديم قبل الإسلام ١٨٩
المطلب الأول: إنكار الألوهية في الأديان الشرقية القديمة.......... ١٨٩
المطلب الثاني: إنكار الألوهية في الفلسفة اليونانية. ١٩٢
المطلب الثالث: إنكار الألوهية عند العرب قبل الإسلام.......... ١٩٦
المبحث الثاني: الإلحاد في الفكر الإسلامي ١٩٩
المطلب الأول: الرؤية الإلحادية للإلحاد في الحضارة الإسلامية. ١٩٩
المطلب الثاني: نقد الرؤية الملحدة حول وجود الإلحاد في التاريخ الإسلامي...... ٢٠٧
المبحث الثالث: الإلحاد المعاصر ٢١٠
المطلب الأول: الإلحاد في بداية عصر النهضة الأوربية.......... ٢١٠
المطلب الثاني: الإلحاد في القرن العشرين. ٢١٦
المطلب الثالث: الإلحاد الجديد.......... ٢١٨
الخاتمة والنتائج والتوصيات.......... ٢٢٩
المصادر والمراجع ٢٣٠
الفهرس ٢٣٧